تاريخ رحلة الصيد والطرد عند المجتمع العباسي وخلفائه (حتى نهاية العصر العباسي الاول)

أ.م.د. مها اسعد عبد الحميد طه

الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات/ قسم التاريخ

ملخص البحث

حاول البحث تقصّي رحلة الصيد والطرد تاريخيا ويؤسس لبداياتها في شتى البيئات والعصور ويستفيض بحثا عند العصر العباسي الاول، عصر التطور والازدهار الحضاري، وتركز الدراسة عند شبه الجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام، مجتهدة في تحديد دوافع الصيد والطرد ومواسمها، ومتوقفة عند مكانة الصيد والطرد عند المجتمع العباسي وخلفائه حتى نهاية العصر العباسي الاول، ليكشف لنا جانبا حضاريا عاشته الامة انذاك، وليخطط مشهدا جماليا ازدانت به صفحات التاريخ.

The history of hunting journey in accordance with the Abassynian society and its caliphas (till the end of the first Abassynian reign)

Abstract

This research tries to discuss the journey of hunting historically focuses on its beginning during the various environments and ages and the extensive research in accordance with the first Abassynian reign which is considered as the reign of evolution and cultural prosperity. This study focuses on the Arabian Peninsula such as Iraq and Syria determining the specification of the reasons of hunting and its seasons standing on the importance of hunting with respect to the Abassynian society and its caliphas till the end of the first Abassynian reign in order to show us such a civilized and cultural side which the Islamic society had lived on and also to trace an aesthetic scene which the historic pages had been decorated accordingly.

المقدمة

الحمد لله تعالى رازق الانعام، مدبِّر الخلائق بنعمته ومشيئته، مفضّل الانسان على سائر مخلوقاته بمزايا أوفاها ذكره وأعلاها معرفته وشكره وسخّر له الضواري والسباع الوحشية يداً طيّعةً، يتناولُ بها شواردَ الوحش وألهمها صيد ما يرسلها اليه وهي طاوية جائعة، وسخّر له من الحيوانات ما اتخذ ظهره مركباً وضرعه مشرباً واستعمله شفاءً وسلاحاً وإغاثةً وصرّفه في قصده ومأربه.

وبعد:

فالصيد والطرد جذورهما عريقة فقد واكبا أولى آثار الانسان منذ أنْ كان يحفر رحلتهما على الجدران وحيطان الكهوف ويرسم الرسوم لصيدها، وبقيت هذه الهواية شاخصة في أعمال الشعراء منذ عصر ما قبل الاسلام حتى بدايات عصر النهضة الحديثة، إذْ انّ الشعر كان صفحة من الصفحات التاريخية التي اهتمت بوصف جزيئات مشهد الصيد سواء أكان عند العامة أو عند رؤسائهم وخلفائهم وأمرائهم وما الى ذلك ومن هنا كان الشعر ديوان العرب وسجل مفاخرهم وأعمالهم.

لقد ارتبط الصيد والطر بحياة المجتمع العباسي كونه مصدراً من مصادر الرزق فضلاً عن اتخاذ خلفائهم وأمرائهم هذا المجال ميدانا لرياضتهم وهواية عكست حضارة هذا العصر.

اهمية البحث:

مثلّت رحلة الصيد والطرد صفحة من الصفحات الحضارية إذْ كانت مرآة صادقة تعكس حالات ترف المجتمع العباسي وخلفائه وازدهارهم في عصرهم الأول.

مشكلة البحث:

لم أعثر على مَنْ يجعل من هذه الصفحة وأخبارها جزءا من صفحات التاريخ ولهذا ابتدأت هذه الرحلة بين السطور والأوراق لأُمات الكتب والمرويات التاريخية بحثاً عمّا هو طريف وجديد.

بعض الكلمات المفتاحية:

الطرائد، الجوارح، الزبى، اللبابيد، الفخاخ، القترات، البازيار وما الى ذلك، كما سترد معانيها في صفحات هذا البحث.

هيكلية البحث:

سيتقسَّم هذا البحث، بإذنه تعالى، على ثلاثة مباحث وتمهيد، سيكون المبحث الأول عن دواعي ومواسم وعادات الصيد، يتفرد كل منهم بمطلب خاص في بحثه وتقصّيه. فيما سيتناول المبحث الثاني الحديث عن حيوانات الصيد والطرد ووسائلها في مطلبين اثنين يتقفّيان كل منهما. أما المبحث الثالث والأخير، وسيقع عليه ثقل هذا البحث، فسيكون رحلة أو وثيقة تفصح جانبا حضارياً للمجتمع العباسي وخلفائهم في عصرهم الأول لتؤرخَ مكانة أخبار رحلة الصيد والطرد في المطلب الأول، فيما يؤرخ المطلب الثاني كيف انَّ هذه الرحلة التي كانت مصدر الرزق المجتمع أو تسليتهم أو كانت مرآة تعكس همومهم وأحزانهم في المطلب الثالث، وأخرى

تعكس عُدَد هذه الرحلات وطرقها ومسالكها في المطلب الرابع.

تحليل بعض المصادر والمراجع المعتمدة

سأعتمد في هذا البحث على الله تعالى ومن ثم على العديد من المصادر الأولية، فمن المصادر القديمة المتخصصة في بحثِها عن الحيوانات وطباعها وأوصافها وما الى ذلك يقف (كتاب الحيوان) بأجزائه السبعة للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري(ت ٢٥٥ه/ ٨٦٩ م)، ويُعَدَّ هذا الكتاب بحثاً علمياً دقيقاً في الحيوان وطبائعه وما يتعلق به، بأسلوب يسلم من الفلسفة والاجتماع وما الى ذلك٠ وكتاب (المصايد والمطارد) لكشاجم، محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (ت ٣٦٠ه/ ٩٧١م)، والكتاب يبحث عن الحيوان وطبائعه وأمراضه وعلاجها وطرق صيده وغير ذلك ٠ وكتاب (الحيوان) لابن أبي الأشعث، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت ٣٦٢ه/ ٩٧٣م)، وهو ينحو نحو الكتابين السابقين فضلاً عن تأكيده على صفات كل حيوان من حيث درجة حماوته وحماوة مأكول لحمه منهم. يرادفهم كتاب (القوانين السلطانية في الصيد) للزينبي، القاسم بن علي (ت ٥٦٣ه/ ١١٦٨م) للتفقّه في شريعتنا الاسلامية الغراء في موضوعة الصيد والطرد، حلاله وحرامه وممّا نهج منهج الكتب السابقة من معاجم وكتب كتاب (حياة الحيوان الكبرى) للدميري، كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى (ت ٨٠٨ه/ ١٤٠٥م)، ويتخلل هذا الكتاب الشواهد التاريخية المتنوعة٠ أما الكتب الفنية التي تتحرى التقصّي عن الصيد والطرد بأسلوب أدبي فمنها كتاب (ديوان أبي نواس) للحسن بن هاني الحكمي البصري (ت ١٩٨ه/ ٨١٤م)، إذْ تحتلُ ظاهرتي الصيد والطرد أكبر جزء من ديوانه، ذلك لأن الشعر ديوان العرب. فضلاً عن (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦ه/ ٩٦٧م) وغيرها.

أما كتب التاريخ العام والتي تؤرخ لمجتمع بني العباس وخلفائه في عصرهم الأول والتي استنتجت من بين سطورها اهتمام هؤلاء برحلات الصيد والطرد فضلاً عن الظرف الزماني والمكاني لشخوصها فيقف على رأسها كتاب (تاريخ الامم والملوك) للطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ه/ ٩٢٢م) ٠ وكتاب (الوزراء والكتاب) للجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ه/ ٩٤٢م) ٠ وكتاب (الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية) لابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ه/ ١٣٠٩ م) ٠ وكتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠ه/ ١٤٤٦م)، وغيرها٠ زيادة على ما سيعتمده البحث على معاجم متنوعة منها لغوية واخرى للأنساب وتراجم الرجال. كما سيعتمد هذا البحث على مراجعَ مهمةٍ لأساتذتنا الافاضل في التاريخ الاسلامي منها كتاب (تاريخ الإسلام الساسي والديني والثقافي والاجتماعي) للأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن، وكتاب (الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد منذ نشأتها

حتى نهاية العصر العباسي الاول) للأستاذ الدكتورة رمزية محمد الاطرقجي. وكتاب (منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان) للأستاذ الدكتورة وديعة طه النجم. وكتاب (هارون الرشيد، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية) للأستاذ الدكتور عبد الجبار الجومرد. وكتاب تاريخ (الأدب العربي، العصر العباسي الأول) للأستاذ الدكتور شوقي ضيف وغيرها من الكتب وكانت جميعها مداداً ثراً لبحثي لا ينصب.

التمهيد

اولا: مناطق البحث

تشمل دراستي شبه جزيرة العرب والعراق والشام وذلك لحيوية هذه الرقعة الجغرافية وموقعها وما تمتعت به من طبيعةٍ امتزجت فيها البيئة الصحراوية بالبيئة الحضرية، فغالب الصيد والطرد يجري في المناطق النائية عن المدن، والتي تشمل الوديان الزراعية والأراضي المحاذية للمياه والمناطق الصحراوية الشاسعة وهذا ما تمتعت به البقعة الجغرافية التي نحن بصددها بما جعلها مهيأة لدراسة هذه الظاهرة وتتبع أخبار الصيد والطرد بين أرجائها، ونأت الدراسة عن مصر والأندلس وذلك لان هذه الظاهرة الحضارية لم تظهر بشكل ملحوظ في مصر الّا في أيام الخلفاء الفاطميين في وقت متأخر إذْ نرى ولع الخلفاء الفاطميين بالصيد[1]. أما ما وردنا من روايات من الأندلس فهي متأخرة لم تصلْ الى أوجه الكمال الّا في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الذي يقترن بقيام الخلافة الأُموية في الاندلس (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)، أما قبل ذلك أي في عهد الولاة الذي سبق الخلافة ((فليس له من الأندلسية الّا انه قيل في الاندلس، فقائلوه في الحقيقة مشارقة وَفِدوا على الاندلس فيمَنْ وفِد مع الفتح وبعده[2]))•

ثانيا: بعض الذين مارسوا الصيد والطرد:

مارس الإنسان الصيد والطرد منذ أقدم الازمان باحثاً عن طعامه أو مدافعاً عن نفسه أو مناشداً الرياضة والمتعة[3]، وفي أقدم النصوص التي وصلتنا إشارات لهذا الصراع بين الانسان والحيوان، كما نجد في ملحمة جلجامش ذكراً للصياد، وصيد الظباء وحُمُر الوحش[4] كما انَّ في التوراة ذكراً بأنَّ نمرود وابنه كوش قد مارسا الصيد ومثلهما نبي الله تعالى اسماعيل عليه السلام[5]. ومن حديث لابن الكلبي* يتضمن

(١) ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٦، دار المعارف (مصر، القاهرة، د.ت) ؛ حسن، حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام، ط٧، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٣٨٤ه/ ١٩٦٤م)، ٣/ ٤٦٢.

(٢) هيكل، احمد (الدكتور)، الادب الاندلسي، ط٣، دار المعارف (القاهرة، ١٣٨٧ه/ ١٩٦٧م)، ص ٥٩

(٣) حتي، فيليب، تاريخ العرب، ط٣، دار الكشاف (القاهرة، ١٣٨١ه/ ١٩٦١ م)، ١/ ٢٣-٢٥.

(٤) باقر، طه (الدكتور) ملحمة كلكامش، ط١، د. مطبعة (بغداد، ١٣٨٢ه/ ١٩٦٢م)، ص ٤٠، ٧٨.

(٥) سفر التكوين، الاصحاح العاشر، الاصحاح الحادي والعشرين، د. مطبعة (بيروت، ١٣٨٢ه/ ١٩٦٢م) ؛ وينظر: الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ط١، تحقيق: عارف

دخول الخيل شبه جزيرة العرب نفهم أنَّ النبي سليمان (عليه السلام) كان ولعاً بالصيد حاذقا بفنونه لم يكتفِ بممارسته وحده، وإنما سعى الى تعليم غيره[١]، ونجد عند الكثير من ملوك العرب في الجاهلية ولعاً واهتماماً بالصيد مثل ذي يزن الحميري[٢] والمنذر ملك الحيرة، والحارث بن معاوية بن ثور، أول مَنْ صاد بالصقر، فضلاً عن رؤساء العرب أمثال (معد بن عدنان) وهو أول من طَرَدَ الوحش على الخيل،(ومدركة بن الياس بن مضر بن نزار)، ومنهم أخوة طابخة[٣]. وممّنْ عُرف بالصيد ودقة الرمي الملك بهرام جور اذْ ((لم يكنْ في العجم أرمى منه)) [٤]. ومن الصحابة ((رضي الله عنهم)) مَنْ عُرف بالصيد الحمزة بن عبد المطلب وعدي بن حاتم وأبو قتادة ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم[٥].

والقبائل العربية تتنافس وتتفاخر فيما بينهما في دقة رمي صياديها، يذكر الزينبي: ((اجتمع طائي وجلانيّ فخرجا يتصيّدان، فكان صيدهما على السواء، فنظر الجلاني الى صيد الطائي، فاذا هو قد رمى حيث أمكنة، ورمى الجلاني في السموم – أي الإبر – فقال الجلاني للطائي ما أحسن ما رميت غير أنك قد أفسدت الإهب[٦] هلا رميت في السموم حتى ينفع بالإهاب))[٧]، ويذكر ان ((بنو جلان اصحاب صيد

احمد عبد الغني، طباعة دار سعد ودار كنان (القاهرة – دمشق، ١٤٣٤ه/ ٢٠١٣م) ص ١٠١ – ١٠٣.

* هشام بن محمد بن السائب بن بشر، ابو المنذر الكلبي، صاحب النسب، حدّث عن ابيه، روي عنه ابنه العباس، وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد والواقدي ومحمد بن أبي السري وغيرهم، وهو من اهل الكوفة، قدم بغداد وحدّث بها، وتوفي سنة ٢٠٤ه. ينظر: الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٢ه/ ١٠٧١م)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي للنشر (بيروت، د.ت)، ١٤/ ٤٥-٤٦ ترجمة رقم ٧٣٨٦.

(١) ينظر: الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ١٠٣ – ١٠٤.

(٢) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب بن بشر (ت ٢٠٤ه/ ٨٢٠م) أنساب الخيل، تحقيق: احمد زكي باشا، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٦٥ه/ ١٩٤٦م) ٠

(٣) ومدركه: هو عامر بن الياس، وأما طابخة: فهو عمرو بن الياس، وسبب تسمية كل منهما بما ذكر لانهما كانا في إبل يرعانها، فاقتنصا صيدا، فقعدا يطبخانه، فغدت عادية على ابلهما، وبقي (عمرو) يطبخ الصيد ولحق (عامر) الإبل فجاء بها، واخيرا أخبرا أباهما بالقصة، فاسماهما بذلك. ينظر: الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ١٠٣ وما بعدها.

(٤) الفاكهي، الشيخ زين الدين عبد القادر بن احمد بن علي، مباهج السرور في الرمي والسباق والصيد والجهاد (مخطوط) صورة المجمع العلمي العراقي عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٨٣٤، الورقة ٦٤ ؛ وينظر: الدميري، ابو البقاء محمد بن موسى (ت ٨٠٨ه/ ١٤٠٦م) حياة الحيوان الكبرى (وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات للإمام زكريا بن محمد بن محمود القزويني)، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر (بيروت، د. ت)، ٢/ ٥٧.

(٥) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٩١ ؛ الابشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد (ت ٨٥٠ه/ ١٤٤٦م)، المستطرق في كل فن مستظرف، دار الندي للطباعة (بيروت، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م)، ص ٣٠١

(٦) الفاكهي، الشيخ زين الدين عبد القادر بن احمد بن علي، مباهج السرور في الزمني والسباق والصيد والجهاد (المخطوط) صورة المجمع العلمي العراقي عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٨٣٤، الورقة ٦٤.

(٧) الإهب: جمع إهاب: وهو الجلد قبل انْ يُدبغ ٠

ليس في ربيعة اكثر تصيدا منهم))[1]. ومن خلفاء بني امية الخليفة معاوية، كما ذكرنا، وابنه يزيد، وسليمان بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد وغيرهم[2].

اما المرأة فهي بعيدة عن الصيد والطرد لما عُرف دورها في المجتمع منذ القدم في تدبير شؤون البيت وتربية ابناءها واعمال الغزل والنسيج وتوفير الطعام وتنظيف الأرضيات وغسل الملابس، ولكنها في الوقت الذي يسير فيه الرجل للصيد أو توفير سبل المعيشة نجدها تنكت الأرض حول الخيمة أو الكوخ لتلتقطَ ما قد عساها انْ تصادفه فوق الأرض من مأكول[3]. لهذا كان الصيد والطرد من شؤون الرجال، لحاجته الى القوة، ورصد الوحش الذي يتطلب الابتعاد عن المسكن، والانصراف عنه أياما وفي ذلك ابتذال للمرأة، لذا حرص العربي على انْ يصونها منه، فكان الرجل منهم يصطاد ويأتي لها بالصيد، فتتولى أمر طهوه وإعداده طعاما شهيا تقدّمه لأهل بيتها، وذلك لأن للصيد والطرد وسيلة تُضرّى، وسهام ورماح تُشَذَّب وتُبرى وأماكن تُتخَذ عنها موارد الوحش لرصدها ومخاتلتها ثم رميها، فلم نجدْ على خبر خروج المرأة برمحها على فرس، أو طاردت كلابها الضارية أو اصطنعت الجوارح في قنصها، أو احترفت لنفسها قترات (حفر) فاختفت فيها زمناً، أو نصبت الشباك والفخاخ وما الى ذلك[4].

والصيد مهنة وهواية يقوم بها الانسان منذ قديم الزمان، وهي قائمة فيما بين الحيوانات أيضا ((فالذئب يصيد الثعلب ليأكله، والثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى فيأكلها، والأفعى تصيد العصفور، والعصفور يصيد الجراد، والجراد يصيد الزنابير، والزنابير تصيد النحل، والنحل يصيد الذباب، والذباب يصيد البعوض، والبعوض يصيد النمل، والنمل يأكل كا ما تيسّر من صغير أو كبير...))[5] فتبارك الله تعالى الذي أتقن ما خلق، ففي وقت كون هذه المنظومة الربّانية العجيبة طعاماً فيما بين الحيوانات هي وفي الوقت نفسه خير وسيلة لإنقاذ بني الانسان من العديد من الحيوانات المؤذية به أو الحشرات الصنارة ببيئته.

(١) الزينبي، القاسم بن علي (ت ٥٦٣/ ١١٦٨)، القوانين السلطانية في الصيد، ص ٣٤٢-٣٤٣

(٢) لمصدر السابق، ص ٣٤٢.

(3) K. A. C. CRESWELL , Bib biography of Architecture arts and Crafts of Islam to 1st. Jan 1960 published by the American University at Cairo press 1961

(٤) ديوارنت، ول وايرل، قصة الحضارة، ترجمة: الدكتور زكي نجيب، مطبعة ليون، (لندن، د.ت)، ١/ ١٥-١٦ ؛ العكيدي، علي، نساء الانبياء،ط١، مطبعة دراسات (بغداد، ١٤٣٢ه/ ٢٠١١م)، ص٣١.

(٥) ديورانت، قصة الحضارة، ١/ ١٦.

المبحث الاول
دواعي ومواسم وعادات الصيد

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الاول:
الصيد والطرد في اللغة والمصطلح

صاد الصيد يصيده ويصاده صيدا اذا اخذه[1] ولقد قيّد الزبيدي معناه بالأخذ في الحبالة بإيقاعه في الشَرَك[2]. ويُقال: خرج فلان يتصيد الوحش أي يطلب صيده. وقولك صدت فلانا صيدا، اذا صدته له، كقولك بغيته حاجة اي بغيتها له، صاد المكان واصطاده: صاد فيه[3] والصيد مصدر عومل معاملة الاسماء فاوقع على الحيوان المصيد[4]،﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾﴾ المائدة: ٩٥،وفي اية كريمة اخرى جاء مفهوم الصيد مستترا ولكنه مفهوم من السياق معنى الآية، يقول تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤﴾﴾ المائدة: ٤، تعني الاية ((وما علمتم من الجوارح)) (مختصر يعني وصيد ما علمتم، فاضمر لدلالة المظهر عليه والجوارح من سباع الطير والبهائم على ما بين، والتكليب من صفات الجوارح من البهائم والطير ومعناه مُضْرينَ كما تُضرّى الكلاب)[5] ومعنى مضرين: أي مهاجمين كما تهاجم السباع والكلاب بشدةٍ ونَهَم. والافتعال منه الاصطياد: يُقال: اصطاد يصطاد مصطاد، والمصيد مصطاد أيضا. وقولهم: خرج فلان يتصيّد الوحش أي يطلب صيدها، ونقول: كلب وصقر صيود، يتساوى فيه المذكر والمؤنث وجمعها صيد. والطرد (بفتح الراء): مزاولة الصيد[6]، وطردت الكلاب الصيد طردا: أي نحتّه أو أرهقته (٧)، ومن المجاز: خرج فلان يطرد الوحش اي يصيدها، وقولهم: الريح تطرد الحصى، والارض

(١) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٤٨٢.

(٢) ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الافريقي (ت ٧١١ه/ ١٣١١م)، لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم،ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م)، ٢/ ٦٥٠، مادة (صيد)

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥ه/ ١٧٩٠م)، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، (١٣٨٥ه/ ١٩٦٥م)، مادة صيد

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٦٥٠ مادة (صيد).

(٥) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٦١.

(٦) الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ٢٢.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٦٥٠ (مادة صيد)

ذات الال تطرد الصحاب طردا، ورمل متطارد يطرد بعضه بعضا ويتتبعه [١]، والطريدة: ما طَرَدْتَ من صيدٍ وغيره[٢]. والقنص: قنص الصيد يقنصه (من باب ضرب) قنصا (بسكون النون) وقنصا (بفتحها) واقنصه وتقنصه: صاد كقولك: صدت واصطدت. وتقنصه: تصيده[٣] ((وقد كان للتوسع السياسي وانتشار رقعة الدولة الاسلامية الى مناطق بعيدة اثر بالغ في حب السياحة والرحلات))[٤] ولاسباب عديدة، والرحلات موضوعة. بحثنا مزدوجة الهدف والغاية فمنها للتسلية وقضاء اوقات ممتعة منها للتكسب والبحث عن الرزق، وغير ذلك من الاسباب ستبين خلال صفحات هذا البحث.

المطلب الثاني: دوافع الصيد:

للصيد عدة دوافع وبواعث عديدة منها:

اولا: تحصيل القوت:

الصيد من وسائل ابتغاء الرزق، والسعي في تحصيله، ذكره ابن خلدون قائلا: ((ان يكون من الحيوان الوحشي بافتراسه، واخذه برميه من البر او البحر ويسمى اصطياد)) [٥]. وقد اتحد الانسان مع اخيه الانسان على صيد الحيوان الأعجم، فاغتذوا بلحمه، واستغلوا شحمه في الإضاءة وعظمه في التدفئة، واتخذوا من جلده سترا، ومن وبره وشعره وصوفه ملابس وصنعوا منها أشراكا لصيد آخر وأخبيةً يلجاون اليها اتقاء الحر والبرد[٦]. وفي ارض العرب حين تبخل الطبيعة على الانسان بقوته فتدفعه الى ان يلوذ في عيشه الى الصيد، ليس له وسيلة يكسب بها قوته سوى امتهانه الصيد، فهو يعتمد عليه كل الاعتماد في تدبير شؤون حياته، أو هو ((فقير قليل المال في أنْ يضعه في تجارة أو ما شابه ذلك، لا يملك سوى سهامه وقوسه –لذا– نجده يبحث عن قوته وقوت أهل بيته بالصيد، أو قد يكون ورث مهنة الصيد عن أبيه الصياد فهو حاذقٌ لحرفته، سريع الأخذ لطريدته، كل ما عنده من مال كلاب معلّمه على الصيد، فهو مرزوقٌ منه، وهو طعمته وحرفته، وكذا هي طعمة عياله وصبيته الذين لازمهم الجوع زمناً طويلاً ليس لهم من الطعام سوى ما تجود به كلاب صيده المدربة، والّا باتوا يتضورون جوعا))[٧].

(١) الزبيدي، تاج العروس، مادة (طرد)

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (طرد)، ٢/ ٦٥٦

(٣) الزبيدي، تاج العروس، مادة (طرد)؛ ابن منظور لسان العرب، ٢/ ٦٥٦.

(٤) ينظر: مال الله: علي محسن عيسى، ادب الرحلات عند العرب في المشرق، مطبعة الرشاد (بغداد، ١٣٩٢ه/ ١٩٧٢م)، ص ١٤.

(٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ه/ ١٤٠٥م)، المقدمة (وهو الجزء الاول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر). تحقيق: الاستاذ حجر عاصي، منشورات: دار ومكتبة الهلال، (بيروت، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م)، ص ٢٤٢ (الفصل الثاني: في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه).

(٦) مجهول، الصيد والطرد عند العرب، تحقيق: الدكتور ممدوح حقي، دار الحزم للطباعة (دمشق، ١٣٨١ه/ ١٩١٦م)، مقدمة الكتاب ص ٨-٩.

(٧) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (٢٥٥ه/ ٨٦٩م)، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة، ١٣٦٤ه/

لذا نجدُ أباهم هذا ينطلق مبكراً مع ارتفاع الشمس في كبد السماء وانتشار ضوئها مسرعاً يتخفّى كانه ذئب لاقتناص طريدته لعلّه يرجع لأهله بصيدٍ يقتاتون به، لأنهم فقراء معدمون، ليس لهم ناقة أو عنزة يستدرون لبنها، أو أرضاً يزرعونها وما الى ذلك، من كل ذلك نخلص الى أنَّ الحاجةَ وتحصيل القوت هي واحدة من دوافع الصيد، يقول الالوسي عن العرب ((ومنهم من كان يعيش على صيد البر والبحر))[1].

ثانيا: الدفاع عن النفس:

ومن الدوافع الأخرى التي رافقت الانسان منذ فجر التاريخ، وحملته على ممارسة الصيد والطرد، الدفاع عن النفس ((وذلك لان الصيد لم يكن سبيلاً الى طلب القوت وكفى، بل كذلك حرباً يُرادُ بها الطمأنينة والسعادة))[2]، وذلك في عصر كان الصيد عند الصائد والطريدة امرا تتعلق به الحياة او الموت، وبان الانسان بغريزته يتحين الفرص للإيقاع بباقي الحيوانات ((والفرق بين سائر انواع الحيوان التي تصطاد به وبينه، انها لا تتوسل الا بقواها الفعلية الطبيعية من ناب ومخلب ومنسر))[3]، وفي وقت ((هداه عقله وذكاؤه وتجاربه، فتفنن في اساليب الفتك والهتك والتخدير والتسميم والتحاليل، ونصب الشراك والشباك، واحتفار الزبى واستعداء بعض الحيوان على بعض، وتدجين الطير الجارح، والسبع الضاري واستخدامه في القنص والصيد لفائدته وربحه، كالصقر والعقاب والبازي والكلب والفهد والنمر...))[4]. ومن غريب ما رواه الاصفهاني عن ((القتّال الكلابي))[5]، أنه ((اصاب دماً فطُلب به، فهرب الى جبل يُقال له عماية، فأقام في شِعْبٍ من شعابه، وكان يأوي الى ذلك الشعب نمر فراح اليه كعادته، فلما رأى (القتّال) كشّر عن أنيابه، فجرد القتّال سيفه من جفنه، فربض بازائه، وأخرج برائه، فسلَّ القتّال سهامه من كنانته فضرب بيده وزأر، فأوتر القتّال قوسه وانبض وترها فسكن النمر وألفه))[6]، ويذكر الاصفهاني أنَّ النمر كان يصطاد الأروى، ويأتي بالصيد ويضعه بين يدي القتّال، فيأخذ منه شيئاً لقوته، ويترك الباقي للنمر وكذلك يفعل القتّال حين يخرج يصطاد الحيوان بنَبْلِهِ، وهي كلها مشاهد صراع الانسان مع الوحش المفترس، التي تنتهي بقتل الحيوان دفاعا عن النفس.

ثالثا: الرياضة والمتعة:

والصيد والطرد يُمارسان للتسلية والمتعة والهواية،

١٩٤٥م)، ٤/ ٤٣٨، ومَطْعَم الصيد: اي رجل طعمته وحرفته الاصطياد، ومَطْعَم (بفتح الميم وسكونه الطاء وفتح العين).

(١) الالوسي، السيد محمود شكري، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ط٢، المطبعة الرحمانية (القاهرة، ١٣٤٣ه/ ١٩٢٥م)، ٣/ ٤١٨.

(٢) ديوارنت ول، قصة الحضارة، ١/ ١٣.

(٣) مجهول، الصيد والطرد عند العرب، ص ٧ (المقدمة)

(٤) مجهول، الصيد والطرد عند العرب، ص٧

(٥) لم اعثر على ترجمة له.

(٦) ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين القرشي (ت ٣٥٦ه/ ٩٦٧م)، الاغاني، دار الفكر للطباعة (بيروت، د. ت) ٢٠/ ٣٨٢-٣٨٣

ويستهويهم ((فيه رياضة وتدريب وتنشيط للبدن، وتعويد للمرء على الصبر، وتسل للخاطر المهموم))[1] والصيد رياضة تُعين على الهضم وتحفظ صحة المزاج في الوقت نفسه[2] وهذا الامر يتوضّح لنا جليا في شعر أبي نواس والذي عاش في عصر بني العباس الأول الذين ((ازداد فتونهم بها واهتموا بالصيد وآيينه اهتماما عظيما))[3] ولا سيما الخليفة محمد الأمين (١٩٣- ١٩٨هـ/ ٨٠٩ - ٨١٤م) فلقد عُرف أنه شديد الانهماك في الصيد، وأحرص عليه من كل مَنْ سبقه، واكثر طرديات أبي نواس معمولة في جوارح (محمد الأمين) وضواريه، مثل قوله:

فـأُمـتـع الله بـه الأمـيرا
ربي ولا زال بـه مـسرورا[4]

وفي طرديات أبي نواس يتبلور هذا الفن، ويتخذ شكلاً مميزاً[5]. وفي العصر العباسي أصبحت ممارسة الصيد ضرباً من الرياضة والمتعة لذا ازداد اهتمامهم بها وبوسائلها، فكانوا يُلبسون الكلاب وجوارح الصيد القلائد والملابس الخاصة التي تُظهر اعتزازهم بها، وشغفهم بتلك الرياضة.

رابعا: كلف العرب بالصيد وتقديرهم للصائد:

إذ انَّ الفروسيةَ والفتوةَ والصيد والطرد من مظاهر البداوة، رافقت الحياة العربية في الجاهلية، ولازمتها في العصور الاسلامية، وتلقت نصيبها من التطور، حتى بلغت ذروة كمالها في العصر العباسي، وبات لها رجالها ومُريدوها، وصار من سمات الفتى الفارس أنْ يجيدَ الرمي الصيد، ويتفننَ الفروسية والطردَ ولا سيّما في عهد الخليفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥ - ٦٢٢هـ/ ١١٣١ - ١٢٢٥م) فأنه ((جدد أصول الرمي بهذه القوس، واعتده من كمالاتِ الفتوةِ وأفانينِ الشجاعةِ والقوة))[6].

ومن دراسة الصيد والطرد من الضروري أنْ نوليَ الفروسيةَ والفتوةَ شيئاً من الاهتمام، فلا بُعْد في الصلة بين الفرس والصيد والطرد فكلها تؤدي الى القتل ابتداء وانتهاء[7]، لان من معاني ((الفرس))[8]

(١) الفيجيجي، ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الجبار، روضة السلوان، ط١، مطابع الجزائر (الجزائر، ١٣٧٨ه/ ١٩٥٩م)ص ١١

(٢) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ه/ ١٣٠٩م)، الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر (بيروت، د. ت)، ص ٤٩.

(٣) طلس، محمد اسعد، بحث (الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع، بحث في مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد، ١٣٧١ه/ ١٩٥٢م)، المجلد الثاني، ص ٢٨٧.

(٤) ابو نواس، الحسن بن هانئ الحكمي البصري (ت ١٩٨ه/ ٨١٤م)، ديوان ابي نواس، تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي، (القاهرة، ١٣٧٢ه/ ١٩٥٣م).

(٥) كشاجم، محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك، ابي الفتح الكاتب (ت ٣٦٠ه/ ٩٧١م)، المصايد والمطارد، تحقيق: الدكتور محمد اسعد طلس، مطبعة الحرية (بغداد، ١٣٧٣ه/ ١٩٥٤م)، ص٥

(٦) جواد مصطفى (الدكتور)، بحث (طيور الفتوة واثرها في الادب)، مجلة العربي (الكويت، العدد ١٤، مايس ١٩٦٨م/ ١٣٨٨هـ)، ص ٩٩.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، مادة (صيد).

(٨) ابن منظور، لسان العرب، مادة (فرس)٠

دق العنق، وليس في مقدور أحد أنْ يفترسَ او يصيدَ أو يطردَ وحشاً أو شيئاً آخراً ما لم تتوافر له القوة، وهي وجه من وجوه الفتوة والشباب. وممّا عنِيَ به الفتيان في عصر بني أُمية، الصيد وتربية الحيوانات المعلّمة وإطلاقها على الطرائد، وكانت تلك أنواعاً من الفروسية[١]. ومن دلالات كلمة الفتوة في العصر العباسي إجادةُ الخروج لرمي الصيد[٢]. ومن كل ما مرَّ ذكره نستطيع أنْ نقولَ أنَّ الصياد قد استرعى انتباه العرب، واحتل مكانةً مرموقةً في مجتمعهم، وعبّر عن ذلك شعراؤهم وقصّاصهم الذين تقصّوا أحوال الصيّاد، ولم يهملوا أي شيءٍ مهما بدا يسيراً، فقد وصفوه هزيلاً، غائر العينين، أسود البشرة، ولم يكتفوا بهذا، وإنما علّلوا ذلك بهبوب السمائم، وتركه أهله، ومكونة في ناموسه يصل ليلة بنهاره، فلم ينجُ من الضمأ وما الى ذلك، وتوسّلوا الى تجسيد حاله بوسائل كثيرةٍ، وركنوا الى التشبيهات، فهو كالذئبِ في السرعة واللون والحذر، ووصفوا بيته وصفاً دقيقاً، وعدّدوا شروطه، حجما وبُعْدا وقرباً من الوحش، بكل حذقٍ ومهارةٍ، ولم يهملوا حذرَ الصائد، وهو يُقبل على صيده، أو عندما تُقبل هي عليه، وعمدوا الى كلابه ووسائل صيده الأخرى، ولم ينسوا صيادين بأسمائهم أو شهرتهم بقبائلهم[٣].

أما في العصر العباسي فأن الشعراءَ كانوا أنفسهم يمارسون الصيد والطرد، ويعتنون بشؤونه ووسائله، يفخرون بهذا، ويحثّون غيرهم على ممارسته بالتشويق والابداع في وصفه، وإبراز مواطن اللذة فيه، ومن اؤلئك أبي نواس وأبي كريمة[٤] وغيرهم.

وأخيراً فقد عدّد محمد المنكلي فوائدَ عشراً للصيد ((ففي ممارسته تمرينُ الخيل – بالطراد – ورياضةٌ للنفس، ولذةٌ في غير محرّم، واكتسابُ الشجاعة، ومعرفةُ ذوي الألباب، ويُبعد الصائد في وقت صيده عن الذنوب، والاستغناء بالصيد عن الأكل في غير وقت الحاجة، وفيه إزالة الهموم والغموم، ونبذ الأوجاع بالحركات، ويستشعر الصائد بلذة التعب، وفيه أيضا تقوية للفكر))[٥]، زيادة على ((فضل لحم الصيد وطيبة مضغه))[٦].

المطلب الثالث: مواسم الصيد:

إذا كانت الدوافع والبواعث الى الصيد هي تحصيلُ القوت أو المتعة، فليس هناك مسّوغ عنه في موسم دون آخر، فالقوت لا تنفذ الحاجة اليه، والمتعة

(١) ينظر: ابن الطقطقي، الفخري، ص ٥٥ إذْ يعتبر يزيد بن معاوية بانه فتى ٠

(٢) ينظر: امين، احمد (الدكتور)، الصعلكة والفتوة في الاسلام، مطبعة الخانجي (القاهرة، ١٣٧١ه/ ١٩٥٢م)، سلسلة اقرا رقم ١١١، ص ٥٥ – ٥٩

(٣) للتوسع في وصف الصياد واحواله، ينظر: كشاجم، المصايد، ص ٤٠، ٥٦، ١٠٢، ٢١٥، ٢٤٥.

(٤) ينظر: الجاحظ، الحيوان، ٢/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٥) المنكلي، محمد، كتاب أُنس الملا بوحش الفلا، مطابع باريس،(باريس، ١٢٩٧ه/ ١٨٨٠م)، ص ١٩ ؛ وينظر: ابن الطقطقي، الفخري، ص ٥٤ إذْ يركز حديثه عن اسباب ((لهج الملوك بالصيد)) ٠

(٦) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٢٢ وما بعدها.

لا تملّها النفس، وهي بحاجة اليها في كل حين وفي جمع مواسم السنة.

فنجد مواسم الصيد في الشتاء حين يحل الجدب ويعزُّ القوت وتزداد الحاجة اليه فيحسن أثناءه الكرم والقرى، فينطلق أصحاب الصيد نحو الفرائس ويجتهدون في ذلك[١]. وفي فصل الصيف يسعى الصيادون نحو الطرائد على الرغم من سموم الرياح المصاحبة للرماح، رياح اليمن المُحرقة التي تهب خلال فصل الصيف فتجفُّ البقول، وتنضب الغذران، ولا يبقى فيها الا القليل، فعودُ النبات ذابلٌ، والهواءُ مُحرقٌ، فلا يبقى أمامه للاقتيات سوى خروجه الى الصيد والقنص لعله يجد ضالّته في الصيد[٢]. وعلى وجه العموم فأنَّ هناك مواسم مشهورة للصيد والطرد عند العرب، حبّذوا الصيد والقنص فيها، معتقدون أنَّ إقدامهم على ذلك يُتوّج بالخير والبركة والعطاء لذا توفيقهم فيها أضمن. أما ملوكهم وأمراؤهم فلم يكونوا يخرجون للصيد في أحوال الجو السيئة، وعموما ((الاوقات المحمودة للصيد: يوم الغيم الذي لا مطر فيه، ويوم المطر للقصف ويوم الصحو للقاء الناس))[٣] لذا المختار من الايام هو يوم الغيم و ((المختار يتوخى ظل السحاب الجهام))[٤]، والسحاب الجهوم: هو السحاب الذي لا مطر فيه. وعموماً خضعت أعمال العرب أحيانا للفلك واستطلاع الطوالع وتقصّي النجوم، فمن نوادر روايات الصيد أنَّ ((الملك المعظّم عزم على الصيد فقال له بعض جماعته: يا مولانا ؛ ان القمر في العقرب، والسفر فيه مذموم، والمصلحة انْ نصبرَ الى أنْ ينزلَ القمر القوس. فعزم – الملك – على الصبر، فبينما هو مفكر إذا دخل عليه مملوك له من أحسن الناس وجها، فوقف أمامه وقد توشّح بقوسٍ، فقال له بعض الحاضرين: بالله يا مولانا اركب في هذه الساعة، فهذا القمر قد حلَّ في القوس حقيقية، فقام لوقته، وركب استبشاراً بالقول، فلم يُرَ أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها))[٥].

وقد خصّصت العربُ الساعةَ الاولى من كل يوم عملاً معيناً ((فأما يوم الصيد من أيام الجمعة فذكر بعض من قسّم الايام انه يوم السبت))[٦]، علما بانَّ لفظة ((الجمعة)) كان يُراد بها أيام الأسبوع كلها، فقديما أطلق الناس كلمة الجمعة وأرادوا بها جميع أيام الأسبوع[٧]. وعلّق كشاجم على ذلك بقوله: ((ولم

(١) ينظر: ابن الابرص، عبيد، ديوان عبيد ديوان عبيد بن الابرص، دار صادر (بيروت، ١٣٧٧ه/ ١٩٥٨م)، ص ٥٩.

(٢) ينظر: البكري، السيد محمد توفيق، اراجيز العرب، ط٢ (القاهرة، ١٣٤٦ه/ ١٩٢٨ م)، ص ٣٨ – ٣٩.

(٣) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٢٣٥.

(٤) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٢٣٥.

(٥) الزينبي، القوانين السلطانية، ص ٤٦.

(٦) ابن حجة الحموي، تقي الدين ابو بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م)، ثمرات الاوراق، صححه وعلق عليه: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص ٥٦.

(٧) الزينبي، القوانين السلطانية، ص ٢٣٧.

اعرف مذهبا في اختيار السبت للصيد من جهة اختيار الطالع. الا ان الخبر جاء بالتماس البركات، غداتي الخميس والسبت))[1]، ثم يمضي الزينبي في الكلام على الطالع ومواضع الكواكب، مبينا أنَّ الاختيار للصيد كالاختيار للحرب ((لانه كر وفر ودرك وفوت))[2]. وكان لزاماً على الصياد الّا ينصرفَ الى الصيد والطرد في ساعة النحس، وهجا بعضهم شخصاً واضب على الصيد، ويعود منه مقلباً كفاه، ويبيتُ عياله جائعون، لأنه يطلبه في وقت نحس[3]، لذا اتفق العرب بأنَّ وقت الخروج الى الصيد هو الصباح الباكر، في أواخر ساعات السحر، ممّا اتفق علي أغلب ما وردنا من أخبار في وصف الصيد والطرد[4]. وفي الخلاصة انه ليس للصيد موسم، أما الخروج للصيد فيتم غدوة، حين تكون الوحوش والكواسر في مواضعها، لّما تزل خاضعةً لسلطان النوم والسكينة، إذْ يسهلُ حينئذٍ طردها وهي خاملة، ويكون ذلك أسهل لإدراكها.

ملابس الرامي المتصيد ووسائله:

الواجب للصائد أنْ يتوخّى ((الألوان المُشابهة لألوان الوحوش المقاربة لها كألوان العسلي والعودي فقد قيل: انَّ الوحشَ لا ينفر منهما، وانَّ الطيرَ يأنس اليهما....وينبغي تجنّب الأحمر إلّاَ في رمي الأسد، فإنه يأباه، ولا يقوم اليه لقربه من لون النار، وأحرى به أنْ ينفرَ من لمعان الذهب وصقيل الحديد في الشمس، وصورة الملابس، فالمخروط أحمدها واليلامق – القباء – والقلانس المظهرة بالعمائم اللطائف، وشد السكين في الوسط ظاهره، خلاف شد السيف نجادياً كان أم في منطقة))[5]، أما ملابس الصيادون الفقراء فكانت أطماراً باليةً، على حين كانت ملابس رُماة البندق هفهافة طويلة، كما إنهم استعملوا القفاز لحماية أكفهم من مخالب الجوارح، وغالباً ما تكون ملابس الصيادون الأغنياء ممّا اعتادوا لبسه في حروبهم، وحرص الصيادون الى وسائل متنوعة في اتقاء ضرر الطرائد خشية نفورها وهروبها قبل أنْ يظفروا برميها، فتخفّوا لها وقاتلوها، فاتخذوا القترات[6]، حاولوا سترها من عيون الوحش بالصفح وغيره، وعفوا على رائحتهم بالتدخين قرب القترات، وباتخاذ تلك القترات بعيداً عن مجرى الريح وهي في طريقها الى مورد الماء لئلا تنقل روائحهم، وحرصوا على كتم أصواتهم، ولبسوا اللبابيد في صيدهم الأسود وجعلوا الناقة درية يختالون بها الظباء، وربما أخفوا أنفسهم بالأشجار يباغتون بها الطرائد[7].

(١) الزينبي، القوانين السلطانية، ص٢٣٧ .

(٢) الزينبي، القوانين السلطانية، ص٢٣٧ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩.

(٤) ينظر: العبادي، عدي بن زيد، ديوان، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الحرية (بغداد، ١٣٨٥ه/ ١٩٦٥م)، ص ١٤٢ ؛ ابو نواس، ديوان، باب الطرد (مطالع طردياته)

(٥) ينظر: ابن الطقطقي، الفخري، ص ٥٤ ؛ امين، الصعلكة والفتوة في الاسلام، ص ٥٥-٥٩

(٦) القترات: جمع قترة: وهي بيت الصائد عند تصيده، مخبا كالغرفة يمكن فيها. ينظر: كشاجم، المصايد، ص ٢٣٤

(٧) الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ٢٠٨-٢٠٩

المبحث الثاني
وسائل الصيد والطرد وحيواناتهم

لجأ العرب في صيدهم الى وسائل متعددة، واحتالوا بها في الايقاع بطرائدهم، وادركوا تجربتهم وخبرتهم ان لكل طريدة وسلة تناسبها، فكانت تلك الوسائل اربعة انواع:

المطلب الاول:
حيوانات[1] الصيد ووسائلها:

فمنها الحيوان ومنها الطيور، كالاتي:

اولا: الحيوان:

وهو متنوع الاصناف كبهائم وسباع وحشرات وغيرها[2].

١. الخيل[3]:

جنسان أحدهما ((العتيق – كريم الاصل – وهو المسمّى فرساً، والآخر برذوناً – وهو الهجين – وكلاهما أحُّر مزاجً من الانسان وأيبس، الّا أنَّ البرذون أبرد من العتيق وأرطب... والعتيق – أي الفرس – تغتذي به نفسه الحيوانية بأكثر ممّا تغتذي به نفسه الطبيعة، فهو لذلك فائض النفس متسلط الخلق ذو خيلاء وعجب، مسرورٌ بنفسه كما يُسَرُّ الطاووس بنفسه،... يوجد فيه ألف للناس ومحبة لصاحبه))[4] لذا فالفرس هو المقصود من حيوانات الصيد وليس البرذون. بقيت الخيل عند العربي الوسيلة التي يهرع اليها في حربه وسلمه، فكانت عونه على أعدائه، وملاذه في صيده وطرده، ومعينه في تنقّله وسفره في جاهليته واسلامه. ومن الطريف أن يقترنَ دخول الخيل شبه جزيرة العرب وانتشارها فيها باتخاذها وسلة للصيد، فقد ذكر ابن الكلي ان قوماً من أزد عُمان قدموا الى النبي سليمان (عليه السلام) وسألوه عن أمور دينهم ودنياهم ! ولّما أرادوا الانصراف سألوه زاداً يبلغهم بلادهم، فدفع اليهم فرساً من خيله، من خيل داوود (عليه السلام) وقال: ((هذا زادكم فإذا نزلتم فأحملوا عليه رجلاً، وأعطوه مطردا، وأوروا ناركم، فإنكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم حتى يأتيكم بالصيد))[5] واستمر الصيد بالفرس عند العرب، وبات من مظاهر الرفعة أنْ يُسخّرَ الرجل الخيل في قنصه و((يختار في الخيل... للحوائج – ومنها الصيد – التي قد أتى عليها سنتان فصاعداً))[6]. وفي العصر العباسي تمكّن الفرس أنْ يستحوذَ على بعض طرديات أبي نواس، ووجد طريقه اليها من خلال

(١) قسّم الجاحظ الحيوانات الى اربع (يمشي ويطير ويسبح وينساح) ينظر: كتاب الحيوان، ١/ ٢٧ – ٢٩

(٢) ينظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى، الجزء الاول، (مادة الخيل).

(٣) ابن ابي الاشعث، ابو جعفر احمد بن محمد (ت ٢٦٣ ه/ ٩٧٢م)، الحيوان، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق احمد حربي، ط١، مطابع مركز البحوث والدراسات الاسلامية (بغداد، الوقف السني، ١٤٢٩ه/ ٢٠٠٨م)، ص ١٥٥ – ١٥٦.

(٤) ابن الكلبي، انساب الخيل، ص ١٣ – ١٤

(٥) ينظر: ابن ابي الاشعث، الحيوان، ص ١٥٥ وما بعدها.

(٦) الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ١١٨

العدد الكثير من وسائل الصيد[١] لذا بقيت الخيل بمكانتها في عالم الصيد

٢. الكلاب:

وهو من حيوانات السباع[٢] لقد واكبت الكلاب العرب حياتهم الصعبة، وفطن العربي الى وفائها، وكانت تنبّهه الى أعدائها، وضرّى العربُ كلابهم على الصيد، وجعلوها عوناً لهم في استحصال القوت، يرسلونها على الطريدة اذا يأسوا أنْ تنالها أقواسهم ونبالهم، وكانت مثار إعجابهم، وأولوها اهتماما كبيرا، وحرصوا على ((إبراز خصائصها، من فراهةٍ ونشاط وشراسة وحدة في السمع والبصر وخلق خاص))[٣]، وحفظوا أنسابها، كالخيل، ومن أشهرها كلاب السلوقي، من كلاب الصيد[٤] ووجدنا العرب في الجاهلية والاسلام يُفضّلون من كلاب الصيد ما كان ضاريا حذق الطرد، حريص على إدراك الطريدة، وعدّوا استرخاء آذانها من صفاتها الحميدة، وكانوا يعمدون الى تجويعها كي تكونَ شرهةً مصممةً على نيل الصيد[٥] وتُعَدُّ كلاب الصيد من الحيوانات الداجنة[٦]. أما العباسيونَ فنجدُ أبا نواس أكثر الشعراء اهتماما بالكلب، فقد فضّله على باقي وسائل الصيد ((وقد أطنب في وصف الكلب وكان أحيانا يشغل معظم الطريدة بوصف الكلب، وأحيانا يصف الفريسة المطاردة))[٧]، وصادوا بالكلاب الظباء وبقر الوحش والأرانب والثعالب وغيرها.

٣. الفهود:

وهي من الحيوانات التي اتُّخذت وسيلةً للصيد، وقوّتها تكمن في أنيابها فتقنص بها الظباء، واحيانا بقر الوحش، وللفهد((ضروبٌ من الصيد، منها المكابرة: وهي لفظة يستعملها الفهادون يريدون بها المواجهة، والدسيس والمذابة))[٨]، ويطنب الجاحظ في تقصّي أوانها وأعضائها، مشبّها إياها بألسنة اللهب في ظلمة الليل، جباهها عريضة، ملامحها متهجمة، وأشداقها واضحة كأنها خط كاتب، وقد نصبت آذنا كالمداهن تسترق بها السمع، لها مخالب تنشب في الصخر على صلابة، فهي حادّة دون ان يشحذها حداد، معكوفة كأصداغ العذارى الجميلات...[٩] وقد شهد العصر

(١) احتلت الطرديات جزءا كبيرا من ديوان ابي نواس. ينظر: ديوان ابو نواس، ص ٢٣٥ – ٣٥٦ (باب الطرد)٠

(٢) يفصل الجاحظ حديثه عن الكلب وانواعه ومنها السلوقية. كتاب الحيوان، ٢/ ٢١٩ – ٢٢٣ ؛ وينظر: النجم، وديعة طه (الدكتورة)، منقولات الجاحظ عن ارسطو في كتاب الحيوان، ط١، معهد المخطوطات العربية (الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥ م)، ٤٨، ٤٩، ٥٢ وما بعدها.

(٣) الحوفي، احمد (الدكتور)، اغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط١، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٧٧ه/ ١٩٥٨م)،ص ١٠٢

(٤) الجاحظ، الحيوان، ٢/ ٢٢٠ – ٢٢ ؛ وللتوسع: ابن ابي الاشعث، الحيوان، ٢٤٤– ٢٤٥

(٥) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد، ١٣١

(٦) ينظر: الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٢٩٥

(٧) مصطفى، احمد امين، الوصف في الشعر العباسي حتى دخول السلاجقة بغداد، (رسالة ماجستير على الاله الكاتبة باشراف الدكتور احمد الحوفي ونوقشت في يوم ١٦/ ٢/ ١٩٦٩م)، ص ٥٠

(٨) كشاجم، المصايد والطرائد، ص ١٨٦ ؛ النجم، منقولات الجاحظ، ص ١٩٦،

(٩) الجاحظ، الحيوان، ٢/ ٣٧١، ٢٧٣ ٠ والمكابرة: ان يلقي

العباسي اهتماما ملحوظا بهذا النوع من وسائل الصيد، وشهد انتشار الطرد بهذا الحيوان فقد ((اشتهر به مسلم الخرساني وولع به المعتصم))[1]

٤. عناق الارض:

وهو ((دابة نحو الكلب الصغير تصيد تصيدا حسنا، وربما واثب الانسان فعقره، وهو احسن صيدا من الكلب))[2]، وخصص كشاجم صيدها بالكركي وما شابهه من الطير[3]. وقد تناقلَ الاخباريون حيوانات أخرى ادعوا أنها اتُخذت وسيلة للصيد، فمنها النمر[4]، ومنها القط الذي قال عنه محمد المنكلي: ((وهو من جملة الضواري وأول من تصيّد به بنو خفاجة، وطبع القط في حركاته طبع الفهد... وهو يصيد الطيور مثل الدراج والطيهوج))[5].

ثانيا: الطيور

والسبع من الطير على نوعين، فمنها العتاق والاحرار والجوارح ومنها البغاث[6]، فلم يكتفِ العربُ بالحيوان وسيلةً للصيد، وإنما وجدناهم قد اتخذوا جوارح الطير وعلّموها الطرد، فنجد المجتمع الأُموي والعباسي قد اتخذوها محوراً لبعض طردياتهم التي هي معلّمة على القنص ومنها:

١. العقبان:

وهو من سباع الطير، من أعظم الجوارح، يكون سلاحه المخالب[7] وفطن العرب الى صراع العقاب وسعيه في كسب قوته وكان ((أول مَنْ صاد بها أهل المغرب))[8] وهي نوعان: عقاب وزمج، ويخبرنا الدميري بأوصاف كل نوع منهما، وعكف يعدد طبائعها ويعرض عاداتها[9]، ونجد صاحب (البيزرة) يعدُّ عُقبان المغرب والمشرق متساوية في ألوانها وأوزانها، والعمل بها، الّا أنه فضل عقبان المغرب بحجة ((إنها أصلب وجهً، وأصدق نية في الصيد من عقبان المشرق))[10].

٢. البُزاة:

نوع من الصقور، وهذه عشرة أجناس[11]

الصائد السرب به مكافحة فحيث ذهب الظبي قابلة بالفهد حتى يدنو فيلقيه عليه مقابلا له، وهذا صيد الملوك وفيه تعسف شديد. والدسيس: ان ينزل الفهد من الدابة بعد أن يرى الظباء ويهرع اليها متخفيا جهده وينتهز الفرصة فيوقع بها. والمذانبة: ان تمتد الظباء وياتي في اثرها واذنابها فيلقي الفهد عليها.

ينظر: كشاجم، المصايد، ١٦٨.

(١) الفاكهي، مباهج السرور، ورقة ٦٥.

(٢) الفاكهي، مباهج السرور، الورقة ٦٥ ٠

(٣) ينظر المصايد والمطارد، ص ٢٢٠

(٤) ينظر: الفاكهي، مباهج السرور (مخطوط) ورقة: ٦٦.

(٥) انس الملا بوحش الفلا، ص ٨٠. والطيهوج (بفتح الطاء): طائر يشبه الحجل الصغير.

(٦) ينظر: الجاحظ، الحيوان، ١/ ٢٧.

(٧) ينظر المصدر السابق، ١/ ٢٨ ؛ وللتوسع في العقاب ينظر: كشاجم، المصايد، ١٠٤ وما بعدها.

(٨) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ١١١

(٩) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ١١٠، ١١١.

(١٠) البازيار الفاطمي، البيزرة، تحقيق: محمد كرد علي، دار القلم (دمشق ١٣٧٢ه/ ١٩٥٣م)، ص ١١٠ ؛ وينظر: الجاحظ، الحيوان، ١٨٠ – ١٨١.

(١١) ينظر: الجاحظ، الحيوان، ص ١٨٧

((والإناث منها أجرأ على صيد عظام الطير، والبازي هو الأنثى وذكره هو الزرق))[1]، وعُدَّ البازي رمزاً للبطش والقوة، وحين يكرُّ على طريدته فهو ينطلق بسرعة عظيمة ((فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جاثمة، ومنها ما لا يضرب الحمام الّا وهو يطير، ومنها ما لا يضرب الحمام في حال طيرانه ولا في حال جثومه الّا ان يجده في بعض الاغصان أو على... الأشجار))[2] وكانوا يتحيّلون في إطعام ((البازي حتى يتشجّع على عظام الطير))[3]، ولأن الصيد ضرباً من الرياضة والمتعة، راح الشعراء يكُثرون من وصف البزاة، ويتقصّون صفاتها بعناية، ومنهم مَنْ يُمعن في تصوير أحوالها وعلى رأسهم الشاعر أبي نواس[4] الذي يُعدُّ صدى ولوع ذلك العصر بالصيد.

٣. الصقور:

من سباع الطير، من الجوارح، والعرب تسمّي كل طائر يصيد (صقر) ما عدا النسور والعقاب، وهو ينطلق الى صيده في الصباح الباكر جدًا[5]، وهي من الجوارح الذكية اللماحة، يقول أبو نواس في مستهل إحدى طردياته: ((لا صيدٌ الّا بالصقور اللمح))[6] وهي صنوف عديدة فمنها الشاهين والحر والشوق والباشق والبيدق والسقاوة والعوسق والزرق واليؤيؤ وغيرها[7]. اضافة الى أنواع اخرى من الطيور الكواسر التي تُربّى وتُدرّب على الصيد.

ثالثا: الاسلحة:

لقد فرضت الحياة القبلية التي عاشها العربي، وما انبثق عنها من عصبيات وحروب أن يهتمَ بوسائل دفاعه وحماية مقدساته، فحرص على اقتناء القوس والنبال والرماح والسيوف، وتفاخروا بها، وبجودتها، وتفنّنوا في صناعتها ونسبها ومنها:

١. القوس:

قول رسول الرحمة المهداة عليه أفضل الصلاة والسلام: ((ما صِدْتَ بقوسك وما صِدْتَ بكلبك غير معلَّم فادركتَ ذكاته فكُلْ))[8]. والقوس لا تجدِ نفعاً بدون نبال، ولا بدَّ للنبال من حافظة تُحمل بها وتحفظها، ولقد اصطاد العرب بنبالهم مختلف الطرائد، فهم صوّبوها نحو بقر الوحش والظباء، وكل ما أدركته ونالته من الطرائد على اختلاف أنواعها، يقول ابن الدمينة:

---

(١) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٥٥.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ص ١٨٧

(٣) كشاجم، المصايد والمطارد ص ١٢٢.

(٤) ينظر: ديوان ابو نواس ص ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٦٠، ٦٦٣، ٦٦٦.

(٥) ينظر: النجم، منقولات الجاحظ، ص ١١٠، ١٦١، ٢٤٤، ٢٤٧.

(٦) ديوان ابي نواس ٦٨٤، وانظر ايضا ص ٦٦١ ؛ وللتوسع في طباع الصقور واوصافها ينظر: ابن ابي الاشعث، الحيوان، ٢٨١ – ٢٨٣

(٧) ينظر: الدميري، حياة الحيوان الكبرى، مادة (الصقر)، ٢/ ٥٧ ؛ ابن ابي الاشعث، الحيوان، ص ٢٨١ – ٢٨٥ ؛ الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ١٣٥

(٨) البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦ه/ ٨٧٠ م)، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت)، ٩/ ٥٢٣.

اذا هبة نبلي شعاعا ولم يكن لها من ظباء الواديين نصيب[١]

٢. البندق[٢]:

وهو يُصنع من الطين أو الحجارة او الرصاص على هيأة كرات صغيرة وتُرمى بالأقواس، ولقد ظهرت في أواخر خلافة (عثمان بن عفان رضي الله عنه) وكان ظهورها مُنكرا[٣] حتى ألفها الناس، ثم استمروا على استعمالها وتحسينها وباتت إحدى وسائل الصيد المعروفة، وراح شعراء الطرد في وصفها، يقول الجاحظ ((وكل قوس بندق فإنما جيء بقناتها من (بروض[٤]) ومدح بريها وصنعتها عصفور القواس، يقول:

أنعت قوساً نعت ذي انتقاء جاء بها جالب بروضاء[٥]))

وصار للصيد بالبندق مكانة مرموقة له في العصر العباسي، فافتتن الشعراء به وافتتنوا في وصفه[٦].

(١) ابن الدمينة، ديوان، تحقيق: احمد راتب النفاخ، مطبعة الخانجي (القاهرة، ١٣٧٨ه/ ١٩٥٩ م)، ص ١١٠

(٢) البندق: اصلها الفارسي جلاهق، وسميت بالعربية بندق، ومنها اشتقت (البندقية).

(٣) الحموي الحنفي، النفحات المسكية في صناعة الفروسية، تحقيق: عبد الستار القرغولي، مطبعة فيضي (بغداد، ١٣٦٩ه/ ١٩٥٠ م)، ص ٧٣.

(٤) بروض: موضع لم يذكر في المعاجم وكتب البلدانيين، وقد جعلها في الشعر (بروضاء) ٠

(٥) الجاحظ، البيان والبتيين، شرح: حسن السندوبي، ط٣، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٦٦ه/ ١٩٤٧ م)، ٣/ ٨٧

(٦) المصدر السابق، ٣/ ٨٧، ٨٨

٣. الرماح والعصي:

الرماح من أسلحة العربي التي لجأ اليها في حربه، واستعان بها على عدوه وصيده، واحتلت مكانة مهمة في حياته، فشغف بها، واهتم بأصولها وأشكالها وصناعتها، ووضع لها الأسماء، الأمر الذي يعطينا فكرة واضحة عن أهمية هذا السلاح في حياته[٧]. ونجد انَّ فرسان العرب متقنون الطعن بالرماح، وبات هذا من مظاهر شجاعتهم وفروسيتهم، ولكي تكون الرماح حادة الرؤوس نافذة يعمد صانعها على وضع الحديد عليها، وهم أحيانا يسمون الرماح (بالقنا)، والصيد بالرماح مألوفٌ عند العرب، وفي مدح الفرزدق لخالد القسري، أمير العراقيين، وهو في السجن[٨]، يذكر صيدهم للطرائد بالرماح، مشبهاً بالصياد مَنْ يروي له شعراً قاله:

(٧) ينظر الى اسماء الرماح التي اوردها الثعالبي. الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ه/ ١٠٣٧م)، فقه اللغة، مطبعة الاستقامة (القاهرة، د. ت)، ص ٣٦٨-٣٧٠.

(٨) خالد بن عبد الله بن يزيد بن اسد القسري البجلي، امير العراقَيْن للمدة من (١٠٥ - ١٢٠هـ)، من اهل دمشق، احد خطباء العرب واجوادهم، توفي في العراق في الحيرة سنة (١٢٦هـ) في سجن مَنْ تولّى إمرة العراق من بعده (يوسف بن عمرو الثقفي). ينظر: تاريخ الطبري، ٢/ ١٤٣٠، ١٥٢٤ ؛ الجهشياري، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م)، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، ط١، مصطفى البابي الحلبي للطباعة (القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م) ؛ الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين للطباعة، (بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ٢/ ٢٢٩٧.

وراوٍ عليَّ الشعرَ ما أنا قلتهُ كمعترضٍ للرمحِ دون الطرائدِ[1]

وقد استخدم العرب (العصا) في الصيد أيضا[2] يحذفون بها الطريدةَ حذفا فتصيبها فتعقدها، أو تنجو والرعب يأخذ بها كل مأخذ، ولا سيّما إذا كان يحوم فوقها جارح ذو مخالب فتّاك بتلك الطريدة، وكانت أرنبا، فقد شبّه الفرزدق (بني عامر) وهم يعطون أموال غنى وباهله في النوائب، وكانوا أذلاء، يقول:

تعطي ربيعةُ عامر أموالها في غيرِ ما اجترموا وهم كالأرانبِ

تُرى وتُحذفُ بالعصيِّ وما لها من ذي المخالب فوقها من مهربِ[3]

رابعا: الحيل:

ومن وسائل الصيد الأخرى لجوء الصياد الى الحيلة في الايقاع بالطريدة، ومنها:

١. الحبائل والأشراك: فالعرب قد اصطادوا بالأشراك والحبائل مختلف الطير والوحش، وهي من وسائل الصيد القديمة ولا سيّما الغزلان وطيور الحباري وغير ذلك[4].

٢. الفخاخ: تُنصب الفخاخ للغزلان على وجه الخصوص، في مراتعها ومواطنها، ولا سيّما اذا كان في تلك الأماكن بعرها (فضلاتها) ((فإن الغزال إذا عاين مكاناً فيه بعر يعبر عليه، ويُكثر الشم فيه، فإذا نصب عليه الفخ صيد عليه))[5].

٣. الزُبَّى واللبابيد: كان العرب يصدون الاسد بالزُبَّى[6] ((وهي حفائرٌ تُحفر على نشز من الارض وتُغطى، وفيها أو بقربها كلب أو ما أشبهه، حتى يأتي الأسد فيسقط فيها))[7] فهي حفرةٌ جُعلت على رابيةٍ يكمنُ فيها اصطياد الأسود أو موتها. أما اللبابيد التي ((يستتر فيها الرجال))[8] فتُصنع من الصوف، فاذا تقدّم الأسدُ حسر الصياد رأسه وباغته، ثم يبادر الى تكبيله، وبعدها يكون الأسدُ أسيراً لا يملك حيلةً يفلتُ منها.

المطلب الثاني: الطرائد: الطريدة:

ما طُرِدت من وحشٍ ونحوه[9] وتقسّم الى قسمين اثنين:

اولا: الحيوان (ذوات الاربع):

ومنها الاتي:

١. الحمار الوحشي: الحُمُرُ نوعان، اهليةٌ ووحشية،

(١) الفرزدق، شرح ديوان الفرزدق، تحقيق: عبد الله الصاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م)، ١/ ١٥٨.

(٢) ينظر: الاطرقجي، رمزية محمد (الدكتورة)، الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد حتى نهاية العصر العباسي الاول، ط١، مطبعة الجامعة (بغداد، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٢م)، ص ٢٨٩.

(٣) شرح ديوان الفرزدق، ١/ ٣٧.

(٤) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٢١٥ ؛ المنكلي، انس الملا بوحش الفلا، ص ١٣٣-١٣٥.

(٥) المنكلي، انس الملا، ص ١٣٤ ؛ وينظر: كشاجم، المصايد، ص ٥٦.

(٦) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١١٦.

(٧) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٩.

(٨) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٧٩.

(٩) ينظر: ديوان ابي نؤاس ص ٣٥٨.

ويُجمع على حمير وحُمُر، وقد يُطلق على الانثى، إضافة الى قولهم (أتان)[1]. وممّا يستلفت النظر في صيد حُمر الوحش أنه لم يكنْ بواسطة كلاب الصيد، وإنما بالسهام والصيادون قعودٌ قد اتخذوا قتراتهم (مواضع اختباءهم) عند موارِدِ الماء، يتربّصون بها، أو بنصب الأشراك في السبل المؤدية الى تلك الموارد[2]. ولمّا كان شعراء العصر العباسي يهتمون كثيراً في وصف جوارح وضواري الصيد، لم يهتموا كثيراً بالطرائد، من جهة، ولكون الحُمر الوحشية من حيوان الصحراء فلهذا لم يكنْ في موضوعة الشعراء العباسيين.

٢. الثور الوحشي: عدّد الدميري أربعة أصناف لهذا الحيوان، وهي: المها والأيل واليحمور والثيتل، وقد حباها الله تعالى بأنها تقنع باستنشاق الريح إذا لم تجد الماء صيفا[3] وان ((هذا النوع يُصاد بالصفير والغناء، ولا ينام ما دام يسمع ذلك، فالصيادون يشغلونه بذلك ويأتونه من ورائه، فإذا رأوه قد استرخت أذناه أخذوه))[4]، وطالما أفزعت الكلاب ثور الوحش فيصبح مذعورا لا يقدر على شيء، فصراع ثور الوحش مع الصياد وكلابه الضارية قديم يمتد حتى العصر العباسي وجميع شعراء العصور الاسلامية كانوا دوما مع ثور الوحش في محنته وصراعه مع القنّاص وضواريه دفاعاً عن نفسه[5].

٣. الظباء: وهي ثلاثة انواع بالقياس الى ألوانها: الادم، والآرام، والعفر، فالأولى غالباً ما تسكن الجبال والشِعاب وهي سمراء اللون، والآرام تسكن الرمال ولونها أبيض، والثالثة (العفر) حمراء تتخذ مساكنها في الارض الصلبة[6] ولكنَّ الظباء محبة للسكن في ((البقاع المعشبة لِما تجدُ فيها من حسن الارتفاق في الارتقاء بعيدة النظر الى مَنْ يقصدها بخيرٍ وبشر))[7]، وتُصاد الظباء بطرقٍ كثيرة مثل السهام وبالشَرَك والحبالة[8] وتُصاد الظباء بالنار كذلك لأنها عندما تُديم النظر اليها وتتأملها يعشى بصرها ويذهل عقلها[9] او قد تُصاد (بالخربق) وهو نبتٌ كالسم

(١) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢١٦ (مادة حمير) ؛ ابن ابي الاشعث، الحيوان، ١٧٠ ؛ النجم، منقولات الجاحظ، ص ١٠٩، ١١٠، ١٣٦، ١٧٢، ٢٠١.

(٢) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢١٦ ؛ وللتوسع في ((القول في طبائع الحمير)) ينظر: ابن ابي الاشعث، الحيوان، ص ١٦٩-١٧٢.

(٣) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ١٣٨.

(٤) المصدر السابق، ١/ ٩٨ ؛ وينظر: النجم، منقولات الجاحظ، ٨٠، ٨١، ١٠٩، ١١٠

(٥) ينظر: الجاحظ، الحيوان، ٢/ ٢٠.

(٦) ينظر: الثعالبي، فقه اللغة، ص ١٣٠ ؛ الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٣٣٥ ؛ القلقشندي ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ه/ ١٤١٨ م)، صبح الاعشى، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٣٤٠ه/ ١٩٢٢م)، ٢/ ٤٢، ٤٤ ؛ وينظر: النجم، منقولات الجاحظ، ص ٩٢.

(٧) الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ٣٣٨.

(٨) ينظر: شرح ديوان ابن الدمنية، ٢/ ٦١٣ ؛ كشاجم، المصايد، ص ٢٠٧ ؛ المنكلي، انس الملا، ص ١٣٣ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢/ ٤٤.

(٩) ينظر: الجاحظ: الحيوان، ٤/ ٣٤٩، ٤٨٤ ؛ كشاجم، المصايد، ص ٢٠٧ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ١/ ٤١٠.

يغشى على آكله ولا يقتله[١].

٤. الوعول: الوعل (بفتح الواو وكسر العين) وهو التيس الجبلي، والأنثى (اروية) وجمعها (أروى)، وهي شاه الوحش، وموضع صيدها يقال له ((داغول))[٢] والوعول تُعدُّ مثالا للقوة، وتُتخذ موضوعا للتأسي لأنها على قوتها لا تنجو من الدهر ونكباته، فهي تجعل الجبال الشوامخ مسكناً لها[٣]. ويتمُّ صيد الوعول بأنْ يختبئ القانص في (قترة) يراقب هذا الوحش وقد أعدَّ أسهماً في أكفه. والوعول لم تزلْ بعدُ تعيشُ في شبه جزيرة العرب في المنطقة الواقعة بين شمالي المدينة المنورة حتى مدائن صالح وهم اليوم يتتبّعون الوعول بالبنادق والسيارات بدلاً من السهام والنبال[٤].

٥. الارانب: وهو اسم جنس يُطلق على الذكر والأنثى[٥]، ومن الوسائل التي تُصاد بها الارانب حذفها بالعصا، وقد تُصاد بالطيور الجوارح مثل الصقر أو الباز أو العقاب وكثيراً ما نرى مثل هذه المناظر في صحارى شبه جزيرة العرب[٦].

٦. الضباب: الضَب (بفتح الضاد) من الحيوانات البرية المعروفة والأنثى ضبة[٧]، والضبُ حيوانٌ كيّسٌ فهو لا يتخذ بيته الّا في الأماكن الصلبة خشية أنْ ينهارَ عليه بالسيل أو الحافر[٨]. ويُصاد الضَب بالحرش، وهو انْ يعمدَ الصائدُ الى حكِّ حجر الضب فيحسبه الضب ثعبانا فيخرج له ذنبه ويمسكه حينئذٍ، ويُصاد أيضا بالحبالة[٩]، وتعيش الضباب طويلاً إذْ هي تعمرُ لأكثر من مائة سنة[١٠].

٧. الثعالب: وهو حيوان مشهور بالمكر والروغان، ويقوم الفهد وجوارح الصيد بصيد الثعالب[١١] وقد أسهب شعراء العصر العباسي في وصفه[١٢]. ويُقال للموضع الذي يُصاد في الثعلب ((واجوم))[١٣].

٨. الضباع: وهي جمعٌ، مفرده الضبع، نوع من السباع، وأنثاه تسمى (ضبعانة) وتُكنى العرب بالضبع عن سنة الجدب، وعند صيد الضبع يأخذ الصيّاد حبلاً ويدخل مخبأها، ويسد بندنه بثوبه كل المنافذ، لئلّا يصل شيء قليل من الضوء فإنها حينئذٍ تثب عليه

(١) البازيار، البيزرة، ص ٣٩.
(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١١٦.
(٣) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٢، ٣٥١.
(٤) فيلبي، سنت جو، ارض الانبياء (مدائن صالح)، ترجمة: عمر الديراوي، ط٢، دار صادر(بيروت، ١٣٨٥ه/ ١٩٦٥م)
(٥) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٩ ؛ وينظر كل المتعلقات الارانب واوصافها وطباعها عند: النجم، منقولات الجاحظ عند ارسطو، ٤٩، ١١٩، ١٨٣.
(٦) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ١٩ ؛ النجم، منقولات الجاحظ، ص ٤٩.
(٧) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٨٧.
(٨) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٦٨.
(٩) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٦٨
(١٠) ينظر، النجم، منقولات الجاحظ، ص ٢٤٠.
(١١) ينظر: كشاجم، المصايد، ص ١٤٩ ؛ الدميري، ١/ ١٥٩ ؛ صبح الاعشى، ٢/ ٤٦
(١٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٤٩.
(١٣) ينظر: ديوان ابي نواس، ص ٦٣٤.

وتفتك به[١]. وما زالت الضباع في شبه الجزيرة العربية الى يومنا هذا ولم يزلْ الناس في العراق يألفون رؤية الضباع في القرى والأرياف والمناطق الجبلية النائية[٢].

٩. الأسود: جمعٌ، ومفرده الأسد، وهو من السباع المعروفة و((للأسد خمسمائة اسم))[٣] ومن أشهرها (ليث، اسامة، البهيس، حيدرة، السبع، الضرغام، الضغين، الغضنفر، القسورة، الورد) وغيرها[٤]. وقد وُجِد الأسدُ في أمكنةٍ معروفةٍ في البلاد العربية، وأطلقوا عليه مأسدة، وهو يسكن الشجر الكثير الملتف وحوله المياه الذي يُكثر حوله البعوض، يصيد يوما وآخر لا يصيد فيه، ينظر الشمس وهو يراقب نزولها لينصرفَ الى الصيد في الليل، ومأسدة أخرى في سواد الكوفة وغيرها ولكنّه لم يعدْ موجوداً في الوقت الحاضر، وهذا لا يعني ان الشعر الذي هو مرآة العرب وحالها والذي ورد في بعضٍ منه وصف الأسد في هذه المواضع أنه شعر موضوع، وإنما يُفهم منه انَّ الأسدَ هو الذي انقرض بعد أنْ صارت هذه البقاع غير ملائمة له، ولقد كان صيده في العراق رياضة مارسها الخلفاء وعلية القوم[٥]، أما صيده فقد افتتن العرب فيه بطرقٍ متنوعةٍ للشباك والرماح والنبال وهم على الخيول كما يصيدونه بالزُبَّى واللبابيد[٦].

١٠. الذئاب: جمعٌ، مفرده (الذئب)، ويُجمع ذؤبان، وله أسماءٌ أخرى منها السيد وسِرحان (بكسر السين)[٧]، والذئب أحرص السباع على المطالبة، فاذا عجز استغاث عاويا فتتجمعُ الذئاب لعوائه وتهاجم الانسان وتأكله، وقد انفرد بذلك[٨]، ويدعى الموضع الذي يُصطاد به الذئب ((كذجة الذئاب))[٩] وهو يصطاد بالكلاب وغيرها[١٠]. ومن المفارقات التي جاء بها الجاحظ عن أحدهم في تدريبه للوحوش قائلا: ((انه ضّرى ذئباً حتى اصطاد به الظباء، وما دونها صيداً ذريعاً وأنه ألفه حتى رجع اليه من ثلاثين فرسخاً))[١١].

ثانيا: الطيور:

وهي عديدة ومنها:

١. النعام: اسم جنس يذكر ويؤنث كقولنا (حمام) ويُقال للذكر(الهيق) أو (الهيقم) وتسمى أيضا

(١) ينظر: كشاجم، المصايد، ٢١٣ – ٢١٤ ؛ الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٧٠

(٢) فيلبي، ارض الانبياء، ص ٢٧١.

(٣) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٣ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢/ ٣٤

(٤) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٣

(٥) ينظر: سعيد، جميل (الدكتور)، الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين، د. مطبعة (بغداد، ١٣٦٧ه/ ١٩٤٨م)، ص ٢١٩.

(٦) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٨٢-١٨٧ ؛ وللتوسع في صيد الاسود ينظر: الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ٣٣٥ – ٣٣٦.

(٧) ينظر: كشاجم، المصايد، ص ١٠٣ ؛ الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٣٢٥

(٨) ينظر: الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٣١٨ – ٣٣٠.

(٩) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٠٥.

(١٠) ينظر: كشاجم، المصايد والمطارد ٠

(١١) الجاحظ، الحيوان، ٦/ ٤٦ ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ٢/ ٤٦

(الضليم)[١]. وهو حيوانٌ مركّب الخلقة بين البعير والطير، أخذ من البعير العنق والوظيف(٢) والمنسم ومن الطير المنقار والجناح والريش[٣] و((عاش النعام في بلاد العرب زمناً طويلا وعرفوا من أحواله شيئاً كثيرا تبين في أعمالهم، وفي شعرهم وأمثالهم))[٤]. والنعام عند العرب صيدٌ طيب، يأكلون لحمها، ويتخذون ريشها زينة، أما أوتار عصبها فيثبتون بها عظامها على رؤوس سهامهم ورماحهم، وعندما جاء الاسلام كانت من الصيد الحلال، لذا استمروا في طردها[٥].

٢. الحباري: بضم الحاء، طائرٌ بحجم الديك العظيم، له ريش كثير وهو اسم جنس لمؤنثه ومذكره، ويجوز جمعه على حباريات[٦]. وصيد الحباري كان مألوفا عند العرب، لكنه ضئيل الجسم، قليل اللحم وربما جرى ذكره في مجال الاستصغار والقناعة، نستشف ذلك من بيت شعرٍ للفرزدق يتمنّى فيه أنْ يعيشَ مع مَنْ يُحبها على لحم حباري يكلِّفُ صاحبا له خبرة على صيده يقول:

واشلاء لحم من حباري يصيدها اذا نحن شئنا صاحب متألَّفُ[٧]

والحبالةُ من الوسائل التي شاعت في صيد الحباري[٨].

٣. القطا: طيرٌ معروف، واحدة قطا، وهو نوعان: الجوني والكدري، ويُصطاد القطا بالأشراك، كما يُصاد بالجوارح[٩].

٤. الكراكي: جمعٌ مفرده (الكركي) وهو طائرٌ مائي كبير، لونه أغبر، وساقاه طويلان، وقيل أنه (الغَرنَيق) بفتح الغين والنون، والكركي من طبعه التحارس، وهو (كالوعل) يعول والديه إذا كبرا[١٠]. والكركي أحد طيور الواجب الأربعة عشر التي جُعلت لرمي الفتيان وعدّوا صيدها من قوانين الفتوّة في العصر العباسي، ولم يظهر صيد الكركي الّا في العصر العباسي وقد انتشر في البيئات النهرية[١١] ذلك لأنه من الطيور المائية ولهذا لا نتوقع وجوده في شبه الجزيرة العربيه إذْ يندر وجود الماء.

(١) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٣١٠، ٣٤٠؛ وينظر: كشاجم، المصايد، ص ٢٢٤.

(٢) الوظيف: مستدق الذراع والساق من الخيل والابل ونحوهما. كشاجم، المصايد، ص ٢٢٤

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات، على هامش كتاب (حياة الحيوان الكبرى)، ٢/ ٢٥٦.

(٤) الحوفي، اغاني الطبيعة، ص ١٠٨.

(٥) للتوسع: ينظر كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٢٢٤ وما بعدها.

(٦) ينظر: كشاجم، المصايد، ص ٢٦٧؛ الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٠٥ – ٢٠٦

(٧) شرح ديوان الفرزدق، ٢/ ٥٥٥، متألّف: اي ربيناه وتألفناه وعلّمناه الصيد. اشلاء: بقايا، وواحدها شلو ٠

(٨) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٠٦. ١٥٧

(٩) للتوسع ينظر: كشاجم، المصايد، ص ٢٢٧ ؛ الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ٣٣٩؛ الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٢٢٠

(١٠) ينظر: الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٢٣٨؛ الزينبي، القوانين السلطانية، ص ٣٤٠

(١١) ينظر: حياة الحيوان، ٢/ ٢٣٨.

٥. الدُرّاج: بضم الدال وفتح الراء المشددة، يُطلق على الذكر والأنثى وهو طيرٌ جناحيه أسود وظاهرهما أغبر، يشبه القطا ولكنه أطف منه، وهو من طيور العراق، كثير الانتاج ينشط في الربيع لأن هبوب الهواء الصافي والرياح الشمالية تلائمه، خلاف ريح الجنوب إذْ تعجزه عن الطيران.[1] وغيرها من الطيور.

المبحث الثالث: رحلة الصيد والطرد عند مجتمع بني العباس وخلفائها

سيتناول هذا المبحث ارتباط ظاهرة الصيد والطرد بالمجتمع العباسي وما كان من أعرافٍ وتقاليد ومكانة تخص ذلك وما كان يجري في سوحها من أحداثٍ مُسرّةٍ أو مُحزنة.

المطلب الاول: مكانة أخبار ومرويات الصيد والطرد

من خلال الرجوع الى بعض مرويات الصيد نجد انَّ مواضعَ الصيد كان يجري فيها بعض الحوار الديني العلمي الذي يعكس ذكاء وفطنة من يرون له ومنهم الخليفة هارون الرشيد، فنجده مثلاً يردُّ على مَنْ يكذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فهذا أبو البختري، وهب القاضي[2] بسنده عن أبي هريرة أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: ((لا سبق الّا في خَفٍ او حافرٍ أو جناح))[3] فزاد: ((أو جناح)) وهي موضوعةٌ على صلب الحديث، فأعطاه الرشيد جائزة سنية، فلمّا خرج قال الرشيد: ((بالله لقد علمت أنه كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم))(٤)، وقد نعجبُ أنَّ الرشيدَ يمنحُ (أبا البختري) جائزةً سنية على كذبة على رسول (صلى الله عليه وسلم) وأرى ان الرشيد قام بذلك في أنه لم يقابل الإساءة بالإساءة بل الإساءة بالإحسان من جهة، ومن جهة أخرى أراد أنْ يكشفَ كذب البعض في مواطن زيادة على كلامه صلى الله عليه وسلم وما لأهمية ذلك في لزوم توثيق احاديث رسول الله بتحرّي الموضوعة منها من الأحاديث الصحيحة، وكان ذلك من ذكاء

(١) ينظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ٢/ ٢٣١ ؛ الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٠٤.

(٢) ابو البختري: وهب بن كثير بن عبد الله بن زمعة بن الاسود بن أسد بن عبد العزى بن قصي..... كان فقيها اخباريا، ولاه الرشيد القضاء بعسكر المهدي ثم عزله وولاه مدينة رسول الله بعد (بكار بن الله الزبيري) سنة (١٩٣ه) وجعل اليه حربها مع القضاء، ثم عزل (سنة ١٩٤ه) فقدم بغداد، وتوفي فيها سنة ٢٠٠ه، وكان ضعيفا في رواية الحديث النبوي الشريف، وله من الكتب (كتاب الرايات) كتاب صفة النبي عليه افضل الصلاة والسلام، وكتاب فضائل الانصار وغيرها. ينظر: ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري، ابو عمرو (ت ٢٤٩ه/ ٨٥٥ م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: اكرم ضياء العمري، ط٢، دار القلم ومؤسسة الرسالة للطباعة (دمشق - بيروت، ١٣٩٧ه/ ١٩٧٧م)، ص ٤٦٦ ؛ ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ه/ ١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار الثقافة للطبع (بيروت، ١٣٨٠ه/ ١٩٦١م)، ٦/ ٣٧-٣٨.

(٣) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٣٦ ؛ الابشيهي، المستطرف، ص ٤٧٦

(٤) الدميري، حياة الحيوان، ١/ ٢٣٦

الرشيد وفطنته، إذ ان زيادة الكلمة ((أو جناح)) لا يتفق وما تعارف عليه الناس في عالم الحيوان وذلك لأنَّ الكثير من الطيور ذوات أجنحة ولكنها ضعيفة لا تُستخدم لأغراض الصيد وإنما هي التي تُصاد فضلاً عن اقتنائها للجمال والزينة مثل (الحمام والفخاتي) وأخرى للتغذية مثل (الدجاج)، زيادة على ذلك في أنَّ ((ليس كل ما طار بجناحيه من الطير فقد يطير الجعلان والذباب والزنابير والجراد والنمل والفراش والبعوض والأرضة والنحل غير ذلك ولا تسمى طيورا))[1] ولا تُستخدم بالتبعية للصيد.

وتُمثّل رحلات الصيد والطرد رحلات استكشافية زوّدت التاريخ الاسلامي بالأخبار الرصينة التي تعكس العثور على الأماكن المقدسة إذْ أنَّ مثل هذه الرحلات وثّقت لنا معالم ومواضع دينية مهمة لم تكن تُعرف قبل ذلك الحين، ومن ذلك عثور الرشيد ومَنْ معه في إحدى رحلاته للصيد والطرد على موضع قبر الخليفة الراشدي الرابع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فيُروى ((أنَّ الرشيدَ خرج مرة الى الصيد فانتهى به الطرد الى موضع قبر علي بن ابي طالب (عليه السلام)، فأرسل فهوداً على صيدٍ فتبعت الصيد الى موضع قبره ووقفت الفهود عند موضع القبر ولم تتقدمْ على الصيد فتعجّب الرشيد من ذلك، فجاء رجل من أهل الحيرة، وقال: يا أمير المؤمنين أرأيتك إن دللتك على قبر ابن عمك علب بن أبي طالب ما لي عندك ؟ قال: أتمُّ مكرمة، قال: هذا قبره، قال له: من أين علمت ؟ قال كنت أجيءُ مع جعفر الصادق (رضي الله عنه) فيزوره وأنَّ جعفرا كان يجيء مع أبيه محمد الباقر (رضي الله عنه) فيزوره، وأنَّ محمداً كان يجيء مع أبيه علي زين العابدين (رضي الله عنه) فيزوره، وأن علياً كان يجيء مع أبيه الحسين، رضي الله عنه، فيزوره، وكان الحسين أعلمه بمكان القبر، فأمر الرشيد أنْ يُحجرَ الموضع، فكان أول أساس وُضِع فيه ثم تزايدت الأبنية فيه))[2].

ومن الأخبار التاريخية التي جاءت عن الخليفة الرشيد في إحدى رحلاته عن الصيد ما تخرج عن المسلّمات والحقائق العلمية، لذا يتوجّب التحقق من صحة المروية ودقتها، وتمحيص رواة سندها لاستبعاد المشكوك[3] في ثقتهم لترتقي الى القبول، فمنها روايات تنقصها الدقة في متن الرواية أي مشكوك في صحتها ومن ذلك أنَّ الرشيد ((خرج يوماً الى الصيد فأرسل بازيا اشهب فلم يزلْ يحلّقُ حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة، فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين رُوينا عن جدك ابن عباس، رضي الله تعالى عنهما، أنَّ الهواءَ معمورٌ بأمم مختلفة الخَلْق، سكان فيه دواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيأة السمك لها أجنحة ليست بذوات ريش، فأجاز مقاتلاً على ذلك

(١) المصدر السابق، ١/ ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ٢/ ١٩٦ – ١٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ١٠٠.

وأكرمه))[1]. وكان يرمي الرشيد من ذلك أنه كان بصدد الاستماع الى رواة الأخبار والتحقق من درجة ثقتهم وبالتالي الاعتماد على مروياتهم بعد تمحيصها وتدقيقها قبل تدوينها.

ومن خلال تتبّع موضوعة الصيد جاءنا الخبر التاريخي الذي يقفُ عند أخبار الأنساب، مثلاً، فيختلط الخبر التاريخي بمرويات الصيد، الذي كانت بنو العباس تقوم به في مطاردة الطريدة، بأخبار الانساب، فما حوار الخليفة المأمون مع تلك الجارية التي كانت تحمل الماء على كتفها من حافة الأنهار الّا شاهد حي على ذلك، ومن الطريف أنَّ هذه الجارية ستكون فيما بعد أُم ولده العباس[2]، فقد حُكي: ((عن أبي عبد الله النميري أنه قال: كنتُ يوماً مع المأمون وكان بالكوفة فركب للصيد... فبينما هو سائر إذْ لاحت له طريدة، فأطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل، فاشرف على نهر الفرات، فاذا هو بجارية عربية خماسية القد،... وبيدها قِرْبة قد ملأتها ماء وحَمَلتها على كتفها وصعدتْ من حافة النهر، فانحل وكاؤها -أي رباط القربة- فصاحت برفيع صوتها: يا أبتِ أدركْ فاها، فقد غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها، قال فعجب المأمون من فصاحتها ورمتْ الجارية القربة من يدها. فقال لها المأمون: يا جارية من أيّ العرب انت؟ قالت: أنا من بني كلاب. قال: وما الذي حملك أنْ تكوني من الكلاب ؟ فقالت: والله لست من الكلاب، وإنما أنا من قومٍ كرام، غير لئام يقرون الضيف، ويضربون بالسيف. ثم قالت: يا فتى من أي الناس أنت؟ فقال: أوَ عندك علمٌ بالأنساب ؟ قالت: نعم، قال لها: أنا من مضر الحمراء، قالت: من أي مضر؟ قال: من أكرمها نسباً، وأعظمها حسباً، وخيرها أُما وابا، ممّنْ تهابه مضر كلها. قالت: أظنك من كنانة. قال: أنا من كنانة. قالت: فمن أيّ كنانة ؟ قال: من أكرمها مولداً وأشرفها مجدا... فقالت: إذنْ أنت من قريش. قال: أنا من قريش. قالت: من أيّ قريش ؟ قال: من أجملها ذكْراً وأعظمها فخْراً، ممّنْ تهابه قريش وتخشاه، قالت: أنت والله من بني هاشم، قال أنا من بني هاشم. قالت: من أيّ هاشم ؟ قال: من أعلاها منزلة، وأشرفها قبيلة، ممّنْ تهابه هاشم وتخافه، قال: فعند ذلك قبّلتِ الارض وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين... قال: فعجب المأمون وطرب طرباً عظيماً، وقال: والله لأتزوجنَّ بهذه الجارية لأنها أكبر من الغنائم، ووقف حتى تلاقته العساكر فنزل هناك وأنفَذَ خلف أبيها وخطبها منه فزوّجه بها، وأخذها

(١) المصدر نفسه.

(٢) العباس بن الخليفة المأمون: اكبر ولد المأمون، وكان بينه وبين عمه المعتصم تنازع في المجلس، ففي يوم وفاة ابيه المأمون رفض الجند ان يقدموا للمعتصم الطاعة في بادئ الامر وارادوا تولية العباس بن المأمون، لكن العباس اسرع الى مبايعة عمه بالخلافة احتراما لوصية ابيه فحذا الجيش حذوه بعد ذلك. ينظر: المسعودي: ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الانوار للطباعة (بيروت، ١٤٣٠ه/ ٢٠٠٩م)، ٤/ ٣٨.

وعاد مسرورا. وهي والدة وَلَدَه العباس))[1].

وأورد صاحب كتاب((المصايد والمطارد))في أنَّ فقه الصيد والطرد وأحكامها كانت موضوعة اسئلة قاضي قضاة المأمون(يحيى بن أكثم) وذلك في يوم قرر الخليفة المأمون اختيار علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، عليهم السلام، ليزوّجه ابنته (أُم الفضل بنت المأمون)، وبعد أنْ اجتمع حاشيته وعدد من بني العباس يردعونَ الخليفة عن ذلك متذرعين بصغر عمر (الإمام علي الرضا) وانه لا يفقهُ من الشريعة والسُّنة شيئاً، فراح (يحيى بن أكثم) يسأله بحضور الجميع قائلاً: ((ما تقول في مُحرم قتل صيداً ؟ فقال: قتله في حلٍّ أو حرم، عامداً أو جاهلا،... عبداً أو حراً، صغيراً أو كبيراً... أمّنْ ذوات الطير أو من غيرها... مُصِّرا على ذلك أو نادماً، بالليل في وكرها أو بالنهار عياناً، مُحرماً للعمرةِ أو للحج ؟ فانقطع يحيى، فقال المأمون: الحمد لله... وصلى على نبيه وآله...))[2] فلمّا تم زفاف ابنة المأمون نجد الخليفة يسأل قاضي قضاته عن حكم كل حالة وردت بالنص آنف الذكر، ويجيبه يحيى بن أكثم عن ذلك.

وقد نجد أنَّ من أخبار الصيد والطرد ما تسجِّل لنا وثائق تاريخية مهمة حملت صفات كرماء العرب أمثال هشام ابن عروة[3] ومنزلته بين قومه، وذلك في حوار للرشيد مع أعرابي، خلال إحدى رحلات الرشيد للصيد برفقة كلاب صيده إذْ قال: ((الرشيد للأعرابي: بِمَ بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة ؟ قال: بحلْمه على سفيهنا، وعفوه عن مسيئنا، وحمْله ضعيفنا، لا منّان إذا وهبَ، ولا حقود إذا غضب، رحْبُ الجنان _ أي العقل _ سمح البَنان، ماضي اللسان. قال: فأومأ الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال: والله لو كانت هذه في هذا الكلب لاستحق السؤدد))[4]

وممّا يُروي في الأخبار أنَّ رحلة الصيد والطرد كانت ارضية خصبة لنقاش ديني وفكري الأمر الذي نلتمّسه في رحلات الرشيد للصيد كما كانت تعكس كرمه وموقف الرعية من سياسته، إذْ عُرف عنه إطعامه مَنْ يلقاه في رحلاته من خاصِّ طعامه، وقد يُجرى حواراً معه نستشف منه موقع الرشيد من نفوس الناس، فممّا يُروي أنَّ الرشيدَ خرج يوماً الى الصيد بالرقة بصحبة ابراهيم بن عثمان بن نهيك(٥)

(١) الابشيهي، المستطرف، ص ٧٩- ٨٠.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٤٦ – ٤٧.

(٣) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الاسدي المدني، ابو المنذر، راى عبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله وانس بن مالك، وسع عمه عبد الله بن الزبير، وابن شهاب الزهري، ومحمد بن المنكدر ووهب بن كيسان، وروي عنه: يحيى بن سعيد الانصاري وايوب السختياني ومالك بن انس، وابن جريج، وسفيان الثوري، قدم هشام على الخليفة المنصور ببغداد فأدركه اجله بها سنة ١٤٧ه ينظر: ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير (ت ٢٥٦ه/ ٨٧٠ م)، جمهرة نسب قديش واخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، (القاهرة، ١٣٨١ه/ ١٩٦١م)، ١/ ٢٩١، ٢٩٣ ؛ الخطيب البغدادي، تاريخ، ١٤/ ٣٧، ٤٢ ترجمة ٧٣٨٣.

(٤) الابشيهي، المستطرف، ص ٢٧٠.

(٥) ابراهيم بن عثمان بن نهيك: وهو صاحب حرس الخليفة الرشيد.

((فعرض له رجل من النسّاك فقال: يا هارون اتق الله ! فقال لابراهيم بن عثمان بن نهيك: خذْ هذا الرجل اليك حتى انصرف فلما رجع دعا، ثم أمر أن يُطعم الرجل من خاصِّ طعامه))[1] وما كان من الرشيد الّا أنْ أجرى حوارا معه يتعلق بسؤاله أهو شرٌ وأخبث أم فرعون ؟ ((قال: بل فرعون ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات: [2]٢٤ و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة القصص/ الاية ٣٨، قال: صدقت...))[3].

ومثل هكذا حوارات تدل على أنَّ الرشيد كان يطّلع على موقف الرعية منه ومن سياسته خلال رحلات الصيد والطرد. كما نجد في أخبار الصيد والطرد أخبارا كرم أُمراء وقادة العصر العباسي الأول ومنهم (معن بن زائدة الشيباني)[4] إذْ خرج للصيد يوما وانفرد خلف ظبي إذْ انقطع عنه اصحابه وما انْ اصطاده وذبحه رأى من بعيد شيخا مقبلا من البرية على حمار فاستقبله وسلّم عليه وسأله عن وجهته فقال: أتيت من أرضٍ لها عشرون سنة مجدبة وقد أخصبت هذه السنة، فزرعتها مقثاة فطَرَحتْ في غير وقتها فجمعتُ منها ما استحسنه وقصدت به (معن بن زائدة) لكرمه المشكور، فأجرى معه (معن) حواراً في ثمن محصوله ثم تركه راشدا الى أصحابه، وما أنْ رجع (معن بن زائدة) الى مجلسه حتى لحق به الاعرابي، وكان معن جالس فضحك فعرفه الاعرابي، فأكرمه دون أنْ يأخذَ محصوله الذي بقي فوق ظهر الحمار فتسلّم الأعرابي المال وانصرف[5].

المطلب الثاني: الصيد من وسائل التسلية في مجتمع بني العباس وخلفائهم:

ورحلةُ الصيد من وسائل التسلية في المجتمع العباسي[6] إذْ استخدموا فيها الكلاب وظهرت

(١) الطبري، تاريخ، ٨/ ٣٢٤

(٢) سورة القصص/ الآية ٣٨

(٣) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، (تاريخ الامم والملوك)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر (بيروت، ١٤٢٩ه، ٢٠٠٨م)، ٨/ ٣٢٤ الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٦٦٠

(٤) معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن الصلب بن قيس بن راحيل بن مرة بن همام بن ذهل بن شيبان. كان سمحا جوادا كريما، قاتل بالسيف دفاعا عن حياة ابي جعفر ابان خروج الراوندية عليه ليقتلوه، فصار اثر ذلك من صحابة الخليفة، وولاه اليمن واذربيجان وسجستان وغيرها. وقيل انه لّما ولّاه سجستان لم يفلحْ في ادارتها حتى خرج عليه احدهم وهو بمقره في (بست) فقتله سنة (٢٥٢هـ)، وقد رثاه شاعر خلفاء العصر العباسي الاول (مروان بن ابي حفصة) بقصيدة مطلعها:

مضى لسبيله معن وابقى محامد لن تبيد ولن تنالا

هو الجبل الذي كانت نزار تهد من العدو به الجبالا

واظلمت العراق والبستها مصيبته المجللة اختلالا

ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٣/ ٢٣٥ – ٢٤٣ ترجمة رقم ٧٢٠٤..

(٥) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٦٦٠

(٦) ينظر: ضيف، العصر العباسي الاول، ص ٥٤ ؛ الاطرقجي، الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد، ص ٢٨٦ ؛ حسن، تاريخ

قصائد في مدح ووصف كلاب الصيد[1]، وكان خلفاء بني العباس يهتمون بالصيد كثيرا، ومن أشهر هؤلاء الخلفاء محمد المهدي (١٥٨_ ١٦٩هـ) مشيداً به قاضي قضاة بغداد الزينبي إذْ يقول عنه: ((كان المهدي بالله أمير المؤمنين قد يُسمى شرف النِّضال... وكان المهدي مُجيدا -بالصيد- يجمعُ بين عربيّ الرمي وفارسيّه))[2] فقد كان الصيد رياضة المهدي المفضّلة، يقول صاحب كتاب حضارة الاسلام في دار السلام: ((تجدُ فيما أنا ذاكرٌ لك عن المهدي أنه يجمع الى خلافة الأُمة أبهة المُلك، وهما أمران لا يجتمعان في خليفة غيره، وربما التمس الطيبات في هذه الأُبهة والتأنّق في فنون المعيشة الى الغاية التي لم يبلغْها بني أُمية من قبله... وليس الصيد من الملاهي التي تعابُ على الملوك الّا متى أفرطوا فيه،.. وإنما هو كَلَفٌ من غير إفراطٍ به...))[3]. ومن رحلات الصيد للمهدي ما صاحبها الطرائف والمُزَح ومنها أنَّ المهدي يجوع ((في طريقه للصيد، فدفع الى خباء أعرابي وهو جائعٌ فقال: يا أعرابي هل عندك قِرى فاني ضيفك، قال... فان احتملت الموجود قربنا لك ما يحضرنا، قال: هات ما عندك، فأخرج له خبز مَلّةٍ فأكلها، وقال: طيبة، هات ما عندك، فأخرج لبناً،...وأخرج له فضلة نبيذ في ركوة، فشرب الأَعرابي واحدا وسقاه، فلما شرب قال المهدي: أتدرى مَنْ أنا ؟ قال: لا والله، قال: أنا من خدم الخاصّة... ثم شرب الأعرابي قدحا وسقاه، فلما شرب قال له: يا أعرابي أتدرى مَنْ انا ؟... أنا أحد قوّاد المهدي، قال: رحُبت دارك وطاب مزارك، ثم شرب الأعرابي قدحاً وسقاه، فلما شرب الثالث... قال _ المهدي _ أتدرى مَنْ أنا ؟ قال: نعم، زعمت أنك أحد قوّاد المهدي، قال: فلستُ كذلك، قال: فمَنْ أنتَ ؟ قال: أمير المؤمنين بنفسه، فأخذ الأعرابي ركوته فوكاها - أي أسقطها- فقال المهدي: اسْقنا، قال: لا والله لا تشرب منها جرعة فما فوقها، قال ولِمَ ؟... لا والله ما آمنُ أنْ اسقيكَ الرابع فتقول: إنك رسول الله فضحك المهدي... وأمر له بصلةٍ... وجعل له رزقا وألحقه بخواصّه))[4]. وللشاعر المتكسّب أبي دُلامة[5] نادرة في إحدى رحلات صيد الخليفة المهدي وقد اصطحب معه ابن عمه الأمير علي بن سليمان العباسي إذْ خرج يوماً فعرض لهما ظبيٌّ سانح، فرماه هو والمهدي بسهمين، أما المهدي فأصابه وأما علي بن سليمان فأصاب كلبا قد أُرسِلَ على الظبيّ، فقتلاهما جميعاً ((فقال أبو دلامة متندّراً:

قد رمى المهدي ظبيا شكَّ بالسهم فؤاده

الاسلام، ٢/ ٤٤٥..

(١) ينظر: متز، ادم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط١، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة، د. ت)، ٢/ ٢٥٣، ٢٥٨

(٢) القوانين السلطانية في الصيد، ص ٣٤٠ - ٣٤١

(٣) المدور، جميل نخلة، حضارة الاسلام في دار السلام، مطبعة المدني، (القاهرة، ١٣٥١ه/ ١٩٣٢ م)، ص ٧٩ - ٨٠

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٢٥٤ ؛ الابشيهي، المستطرف، ٢/ ٦٦٠

(٥) ابو دلامة: وهو زيد بن الجون، من الشعراء، احد مضحكي الخلفاء العباسيين الاوائل، الذهبي، سير، ٧/ ٣٧٤.

وعلي بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كلُّ امرئٍ يأكلُ زاده))[1]

ويُعدُّ الحصان من أبرز أدوات الصيد التي شُهد لها بالقوة لتحمّله المطاولة على الركض والعَدْوِ لذا اهتم خلفاء بني العباس على تربيته وتدريبه، حتى شهدت سوح التدريب سباقات لهذا الحيوان[2]. وقد أباح الفقهاء هذا اللون من الرياضة، واشترطوا على أنْ لا تكون وسيلةً للحصول على المال، ويُروي أنَّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سابَقَ بين الخيل[3]. ومِمَّا يروي أنَّ سباق الخيل كان من أنواع التسلية في العصر العباسي الأول حتى ليُروي أنَّ ((السابق يستولي على الحصان المسبوق في بعض الأحيان، وتنافَسَ الخلفاءُ والوزراءُ في تربية خيل السباق))[4].

وينقل لنا المسعودي روايةً توضّح اهتمام الخليفة الرشيد بسباق الخيل حتى أنَّ يوم تسبقُ خيله يستغله أولو الفطنةِ والألباب ليقضوا حاجاتهم لدى أمير المؤمنين كما حدث أنْ قام بذلك الاصمعي[5]. أما الفروسية فكانت مطمع أنظار الشباب من جميع طبقات المجتمع العباسي إذْ هي تستهوي قلوبهم لما فيها من ألوان الشجاعة، لذا كان الشباب يمارسونها ويتخذون لهم أزياء خاصة بها، وقد برعوا في استعمال السلاح والضرب بالسيف أو الرمي بالنبل والبندق[6]. وكانت النساء يمارسنَ الرمي بالسهام[7]. ومن وسائل التسلية أيضا اللعب بالطيور بمختلف أنواعها حتى صار كثير من الناس يربّونها في منازلهم بنوعيها الأليف والجارح، ولذا اشتهر في بغداد مثلا سوقاً كبيرةً في شرقيّها لابتياع الطيور[8]. ومن خلفاء بني العباس الأوائل ممّنْ غَرِمَ بالصيد وشغف به (عبد الله بن موسى الهادي)[9] أيضاً. وكان الرشيد يمضي أغلب أوقات فراغه في رحلات الصيد والطرد، فقد كانت هوايةً رياضيةً يمارسونها خلفاء بني العباس، فيُروى أنَّ الرشيد ((يتعشّق الصيد على أنواعه، فلم يترك فراغاً من وقته في مواسم الصيد والقنص الّا

(١) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٦/ ٢٤٠ ؛ وينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٣/ ٢٩٧

(٢) حسن، تاريخ الاسلام، ٢/ ٤٤٥

(٣) لما جاء الاسلام امر الله تعالى نبيه الكريم، صلى الله عليه وسلم، باتخاذ الخيل لارتباطها بجهاد اعداء الاسلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ سورة الانفال، الاية ٦٠ ((فارتبطها عليه الصلاة والسلام وحض المسلمين على ارتباطها... حتى ليستار بصهيل الخيل يستمعه ويسابق)). الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ١٠٨ ؛ متز، الحضارة الاسلامية، ص ٢٥٣.

(٤) حسن، تاريخ الإسلام، ٢/ ٣٢٣

(٥) ينظر: المسعودي، مروج، ٣/ ٢٩٥ ؛ ضناوي، سعدي (الدكتور)، موسوعة هارون الرشيد، ط١، دار صادر للطباعة (بيروت، ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م)، ٢/ ٥٠٧

(٦) ينظر: فهد، بدري، العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، د. مطبعة (بغداد، ١٣٨٧ه/ ١٩٦٧م)، ص ٣٤٣

(٧) الاطرقجي، الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد، ص ٢٨٩

(٨) ينظر: الجاحظ، الحيوان، ١/ ١١٨

(٩) ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ١٠/ ١٩٠.

استغله من أجل نزهته ولهوه))[1]، وكان الرشيد فضلاً عن ذلك يحاورُ مَنْ يأتي بين يديه من المتصيّدينَ ممّنْ يهدون له بعض صيدهم طمعاً في جائزةٍ سنية منه، يقول الزينبي: ((كان الرشيد متصيّداً يوماً، فأتاه البازيار[2]، بدراج[3] ابيض، وقال: ما رأيتُ مثله قط، فقال: أطلقه من يدك، فإنَّ الشيء اذا جاوز حدّه سمج))[4]. ومثل هذه المرورية تعكس لنا اطلاع خلفاء بني العباس على حيوانات الصيد والطرد، وكل ما يتعلق بها من خصائص وسمات. وقد كانت درجة ولع الرشيد بالصيد حتى لقد قيل أنّه في اليوم الذي قرر قتل وزيره جعفر البرمكي كان قد أمضى نهاره في الصيد مع جعفر وأصحابه دون أنْ يبدوا منه ما يريب[5] ((وما لهج الملوك بشيء أشد من لهجهم بالصيد والقنص))[6]. وليس الصيد من الملاهي التي تُعاب على الملوك، ولكن يُعاب عليهم ذلك متى ما أفرطوا فيها وكانوا أقرب الى الأثر منه الى النزهة، فمن مروياتها ما تعكس لا مبالاة الخليفة الأمين (١٩٣-١٩٨/ ٨٠٩-٨١٤م) وعدم اكتراثه بما يحدث في دولته من أحداثٍ جسام، فما ان يصله مقتل قائد قواده في معركة الري (علي بن عيسى بن ماهان) وخسارة جيشه أمام جيش المأمون سنة (١٩٥هـ/ ٨١١م) في منطقة الري، والأمين يومها في إحدى نزهاته على شواطئ نهر دجلة مستغرقاً في صيده للسمك فيقول لَمَنْ جاء له بالخبر((دعني فان كوثراً قد اصطاد سمكتين وأنا الى الآن ما اصطدت شيئاً))[7]. ومثل هذا الخبر يدل على أنَّ الصيد وما فيه من مُتعةٍ يؤدي بصاحبه أحيانا الى نسيان بعض مهامه، فقد((كان الأمين أشد انهماكا في الصيد وأحرص عليه من كل ما تقدمه، وأكثر طرديات أبي نواس معمولٌ في جوارح محمد وضواريه مثل قوله:

فأمتعَ اللهُ به الأميرا ربي ولا زالَ به مسرورا))[8].

وكان الخليفة المعتصم بالله أكثر الخلفاء العباسيين الأوائل ((محالفة للصيد وأخفهم ركاباً لتوفر همّته على الفروسية وما شاكلها وأدخل في بابها وأكثر مباشرتها بنفسه))[9]. ومن خلال تتبّع مرويات الصيد والطرد وأخبار خلفاء بني العباس لم نعثرْ على أخبارٍ تخصُّ قيام

(١) الجومرد، عبد الجبار (الدكتور)، هارون الرشيد، دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، ط٢، المكتبة العمومية (بيروت، ١٣٧٥ه/ ١٩٥٦م)، ١/ ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) البازيار: وهو مربي البزاة. للتوسع: ينظر: كشاجم، المصايد، ص ٦٨، ١٢٢، ١٧٧

(٣) الدراج: والذكر يسمى (الحَيقُطان) وله من حسن اللون في الريش، وهو من احمدها لحما واسرعها، واسمنه ما صيد من الخمر والدغل لانه يامن هناك فينام، وما كان منه في الجبال والمواضع المنكشفة لا يكاد يوجد سمينا، ويصاد بضروب كثيرة منها الصفير. للتوسع: كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٢٦٦-٢٦٧.

(٤) الزينبي، القوانين السلطانية في الصيد، ص ٣٣٩

(٥) ننظر: الطبري، تاريخ، ٨/ ٢٨٥ ؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص ٢١٠ ؛ الجومرد، هارون الرشيد، ٢/ ٥٠٠.

(٦) ابن الطقطقى، الفخري، ص ٣٥.

(٧) المصدر السابق، ص ٢١٤.

(٨) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٩-٢٠ ؛ وينظر: ديوان ابي نواس، ص ٣١٨.

(٩) ابن الطقطقى، الفخري، ص ٢٠.

الخليفة أبي العباس السفاح (١٣٢_١٣٦هـ/ ٧٤٩-٧٥٣م) أو الخليفة أبي جعفر المنصور بمثل هذه الرحلات وذلك لضيق وقت خلافة أبي العباس السفاح كما يرجع السبب الى انشغال الخليفتين بتأسيس أركان الدولة العباسية والتصدّي للمناوئين[١]، فضلاً عن السعي نحو التشييد والعمران[٢]. ومن طريف ما يُذكر في ذلك ما دار بين الخليفة أبي جعفر المنصور وأبي دُلامة، مضحك الخلفاء العباسيين، في حاجة الأخير الى امتلاك مستلزمات الصيد ولوازمه على الرغم من أنَّ المنصور قد اشتُهر بحرصه على المال حتى لُقّب بالدوانيقي[٣]، يقول أبو دُلامة، مُضحك الخلفاء ((انه كان بين يدي المنصور واقفاً فقال: سلْني حاجتك، قال أبو دلامة: كلبٌ اتصيّدُ به، قال: أعطوه إيّاه، قال: ودابّةٌ اتصيّد عليها، قال: أعطوه. قال: وغلام يصيد بالكلب ويقوده. قال: أعطوه غلاما. قال: وجارية تُصلح لنا الصيد وتُطعمنا منه. قال: أعطوه جارية. قال: هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلابدَّ لهم من دار يسكنونها. قال: أعطوه دارا تجمعهم• قال: فإنْ لم تكنْ لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ قال: قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة. قال: وما الغامرة ؟ قال: ما لا نبات فيه. فقال: قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني اسد، فضحك وقال: إجعلوها كلها عامرة. قال الجاحظ: فانظر الى حذقه بالمسألة ولطْفه فيها: إبتدأ بكلب فسهّل القصة به، وجعل يأتي بما يليه على ترتيبٍ وفكاهةْ حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه))[٤].

(١) مثل تنكر الخليفة السفاح لوزيره ابي سلمة الحلال ومقتله، ينظر: اليعقوبي، تاريخ ٢/ ٣٤٩، ٣٥٢ ؛ الطبري، تاريخ، ٧/ ٢٩٥، ٢٩٩، كذلك اوامره بتتبّع مروان بن محمد، آخر خلفاء بني اميه وقتله. ينظر: اليعقوبي، تاريخ ٢/ ٣٥١ ؛ الطبري، تاريخ، ٧/ ٣٠٨ ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ص ١٤٨ وغيرها من الاحداث. اما بالنسبة للمناوئين الذين قاموا ضد الخليفة المنصور مثل عصيان عبد الجبار الازدي بخراسان ونقض أصبهذ طبرستان وتصاعد الحركات المجوسية الهدامة على اثر مقتل ابي مسلم الخرساني، وتصاعد الحركات الراوندية واخذت تتشكل في اشكال مختلفة مثل المقنعية والخرمية ونحل دينية مختلفة نادى بها سنباد واسحاق التركي واستاذ سيس وغيرهم. ينظر: الطبري، تاريخ، ٨/ ٩٣، ١٠٠، ١٠٢ ؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص ١٧١، ابن خلدون، تاريخ، ٣/ ١٩٦. اضافة الى ثورة محمد ذو النفس الزكية واخيه ابراهيم بن عبد الله ومقتلهما. ينظر: الطبري، تاريخ، ٧/ ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٥٩ – ٣٦٠، ٣٧٧ ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ص ١٦٤، ١٦٥، وما الى ذلك.

(٢) مثل بناء الخليفة السفاح لمدينة الانبار وانتقاله اليها سنة ١٣٤ه. ينظر: الدنيوري، الاخبار الطوال، ص ٥٤٤ ؛ اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٣٥٨ ؛ الطبري، تاريخ، ٧/ ٣٢٥، ومثل بناء الخليفة المنصور لمدينة بغداد وانتقاله اليها سنة (١٤٩ه) ونقله اليها الخزائن والدواوين. ينظر: ابن الخطيب، تاريخ بغداد، ١/ ٣٧٥ – ٤٥٠ ؛ الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٠٠ ؛ الطبري، تاريخ، ٨/ ٤٨ وما بعدها ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ١٦٢، ١٦٣.

(٣) سمي المنصور الدوانيقي نسبة الى حرصه على صرف اصغر عملة في العراق يومئذ وهي الدانق، وهو مقدار لا يزيد عن سدس الدرهم، والمنصور الدوانيقي لتشدده في محاسبة الصناع والعمال اثناء بناء بغداد. ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٢٤٥ – ٢٤٦ ؛ الطبري، تاريخ، ٨/ ٧٣

(٤) ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)،الاغاني، طبعة التقدم، مطبعة دي ساس (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م)، ١٠/ ١٩٠ ؛ على انه يذكر الزينبي والابشيهي بان ابا دلامة كان واقفا بين يدي الخليفة السفاح. ينظر:

المطلب الثالث: ما قد تتخلل رحلة الصيد من هموم واحزان:

وقد كان الصيدُ والطرد هوايةً اشترك فيها معظم فئات المجتمع العباسي حتى العديد من الولاة والأمراء والقادة، فيُذكر أنه أبان خلافة المنصور عُرف عن أحد ولاته كُثرة الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب ويلهو بها عن أمور الرعية وتسهيل متطلبات المسلمين وتذليلها لهم، وما أنْ وصل الخبر الى المنصور حتى نحّاه عن عمله قائلا: ((انما استكفيناك أمور المسلمين، ولم نستكفِك أمور الوحش))[1].

وقد تكون لفظة صيد فيها كناية أو إشارة الى ضالّة انسان من عدو أو غيره، فقد يكون أحدهم يخرج في رحلات للصيد حقيقية فإذا به يعدِل عنها بصيدٍ آخر مثل الحصول على ضالّته من انسان سبق أنْ آذاه وانتابه ضرراً منه بفعلٍ أو قول أو وشابة، فيذكر الجهشياري بأنَّ الخليفةَ المهدي قد أنفذ ابراهيم بن ذكوان الحرّاني، وزيره بعد أنْ صرف الربيع بن يونس عن الوزارة، وكان ابراهيم هذا ((خاصّا بالمهدي، فلمّا أنفذ ولده موسى الهادي الى جرجان أنفذ معه ابراهيم الحرّاني، فخُصَّ بموسى، ولطُفَ موقعه منه، واتصل بالمهدي عنه أشياء، يزيد فيها عليه أعداؤه ويُكثرون، فكتب الى موسى في حمله اليه،... فدافع عنه وتعلّل في حمله، فكتب إنْ لم تحملْه خلعتك من العهد... فلم يجدْ موسى بُداً من حمله، فحَمَله مع بعض خدمه مُكرّما مُرفّها، وقال له: إذا دنوتَ من محل المهدي فقيّده، وأدخله اليه بهذه الصورة، فامتثل الخادم ما أمره به في ذلك. واتفق انْ ورد العسكر والمهدي يريد الركوب – للصيد – فبَصُرَ بالموكب، فسأل عنه: فقيل: خادم موسى ومعه ابراهيم الحرّاني، فقال: وما حاجتنا الى الصيد، وهل صيد أطيب من صيد ابراهيم ؟))[2].

والصيد كرياضة وتسلية تمثّل أحيانا مشقه للصائد، فيري الجهشياوي بأنَّه((خرج المهدي متنزها ومعه –وزيره– عمر بن بزيع، فانقطع عن العسكر في طلب الصيد، فأصاب المهدي جوع، فقال لعمر بن بزيع: ويحك ! هل من شيء _ نأكله_؟ قال: ما من شيء، قال: فإني أرى كوخاً، وأظنّها مبقلة، فقصدا قصده، فاذا نبطيٌّ في كوخ، واذا مبقلة، فسلما عليه، فردَّ السلام، فقال: هل عندك شيء نأكله ؟ قال: عندي رُبيثاء وخبز وشعير. فقال له المهدي: إنْ كان عندك زيت فقد كمل – الضيافة – قال: نعم، قال: وكراث ؟ قال: نعم، وعندي تمر ؛ وعدا نحو المبقلة، فجاء ببقل وكراث وبصل فأكلا أكلا كثيراً وشبعا، فقال المهدي لعمر بن بزيع: قلْ في هذا شعراً، وكان يُعرفُ بقرض الشعر فقال:

إنَّ مَنْ يُطعمُ الربيثاء بالزيت وخبز الشعير والكراث

لحقيقٌ بصفعه أو بثنتين لسوءِ الصنيعِ أو بثلاث

الزينبي، القوانين السلطانية، ص ٣٣٦ ؛ الابشيهي، المستطرف، ص ٤٠٩

(١) الطبري، تاريخ، ٨/ ١٢٠

(٢) الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص ١٦٧ – ١٦٨.

فقال المهدي: بئس ما قلت ! ليس هكذا، ولكنْ:

لحقيقٌ ببدرةٍ أو بثنتين لحسن الصنيع أو بثلاث

ولحق بهما العسكر والخزائن، فامر للنبطيّ بثلاث بِدَر[1]))[2].

وقد يتسبب الصيد ومشقته بموت الصائد كما حدث للخليفة المهدي في إحدى رحلات صيده سنة (١٦٩هـ) فممّا يُروى عن ((واضح قهرمان المهدي قال: خرج المهدي يتصيد بقرية يُقال لها الرذُّ بماسَبَذان[3]، فلم أزلْ معه الى ما بعد العصر... قال: طردت الكلابُ ظبياً، فلم يزلْ _ المهدي _ يتبعها _ بفرسه _ فاقتحم الظبي باب خربه، فاقتحمت الكلاب خلفه، واقتحم الفرس خلف الكلاب، فدق ظهره في باب الخربه، فمات من ساعته))[4]. وممّا يُذكر عن رحلة الصيد كونها حالة من حالات الأُنسِ والانبساط أنها كانت تختلطُ احياناً بمآسي الآخرين، فهذا جعفر بن يحيى البرمكي مع الرشيد وهما في رحلة الصيد سنة (١٨٧هـ)، إذْ كان الرشيدُ يضمرُ بنفسه ما سيفعلُ بجعفر ليلة الصيد هذه من قتلٍ له وتشريدٍ لعائلته[5]، فيصير الى منزله بالأنبار ويوجّه مسرور الخادم ومعه حمّاد بن سالم الى قصر جعفر بن يحيى البرمكي فُمل وضُربت رأسه[6].

وممّنْ اشتغل بالصيد في خراسان من أُمراء الدولة العباسية وولاتها (الفضل بن يحيى البرمكي) حتى شغله ذلك عن النظر في أمور الرعية، وما أنْ وصلَ كتاب صاحب البريد الى الرشيد يصفُ به حال الفضل ليردعه الخليفة عن ذلك ((ويحى بن خالد بين يديه،... فلمّا قرأه الرشيد رمى به ليحيى، وقال له: يا أبتِ إقرأْ هذا الكتاب، واكتب اليه كتاباً يردعه عن مثل هذا، فمدَّ يده الى دواة الرشيد وكتب الى الفضل على ظهر كتاب صاحب البريد... قد انتهى الى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره – الخليفة –، فعاودْ ما هو أزين بك...))[7].

وكان من ولع خلفاء الدولة العباسية الأوائل في الصيد حتى أنَّ أحدهم يصيبه التشاؤم والتطيّر إنْ أصاب عُدةَ الصيد التي معه ضرراً أو عُطباً، فينقل

(١) البِدْرة: صُرّة فيها الف درهم.

(٢) الجهشياري، الوزراء، ص ١٤٦ – ١٤٧ ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ١٧٩

(٣) ما سنبذان: مدينة من اعمال جرجان. ينظر اليعقوبي، البلدان، ص٩٢

(٤) الطبري، تاريخ، ٨/ ١٩٢ ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ص ١٨١.

(٥) راح المؤرخون يفيضون في شرح وتعداد اسباب نكبة الرشيد للبرامكة فمنهم من قال استئثارهم بالسلطة والنفوذ والمُلك، او تبديدهم اموال الرعية، او اطلاقهم ليحيى الطالبي العلوي، او مساعدتهم (لعبد الملك بن صالح العباسي) الذي كان يدعو لنفسه او كراهية وزيره الفضل بن الربيع لهم ووشايته بهم، وما الى ذلك من اسباب. ينظر: الطبري، تاريخ،٨/ ٢٧٧ وما بعدها ؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٢٣٤ وما بعدها ؛ المسعودي، مروج، ٣/ ٣٠٠ وما بعدها ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ص ٢٠٨ – ٢٠٩

(٦) ينظر: الطبري، تاريخ، ٨/ ٢٨٥ ؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٢٣٤ ؛ ابن الطقطقى، الفخري، ص ٢١٠.

(٧) المسعودي، مروج، ٣/ ٣٠٠ ؛ الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٦٥

لنا الجهشياري خبراً عن اغتمام الخليفة موسى الهادي (١٦٩_ ١٧٠هـ) حين انقطع قوس وتره وهو يتصيد يوما وكيف عالج رفيقه هذا الأمر، يقول: ((مخازق بن ابراهيم الموصلي _ المغني _انه كان مع الهادي يوماً، وهو يتصيّد، وانقطع الوتر، فاغتم لذلك، وتطيّر منه، وضجر، فنزل عمر ابن بزيع، وكان إذْ ذاك يكتبُ له، فوقف بين يديه، ثم قبّلَ الارض، وحمدَ الله _ تعالى _ فقال له موسى: أيّ موقف حمد هذا ؟ فقال له: الحمدُ للهِ على أنْ كانت العين بالقوس، ولم تكنْ بأمير المؤمنين، فسُرّي عنه، وحَسُنَ، موقع ما كان من عمر، ووصله))[١].

وعلى وجه العموم كان العباسيون يهتمون بالصيد على أنواعه حتى صيد الخنازير[٢]، فيُروى أنَّ صيدها كان سبب موت (أبي عيسى بن الخليفة الرشيد) فانه كان يحب صيد الخنازير، فوقع عن دابّته فلم يسلمْ دماغه فكان يتخبّطُ في اليوم مرات الى أنْ مات[٣].

المطلب الرابع: عُدَد رحلة الصيد والطرد ومسالكها:

وقد حرص خلفاء بني العباس في عصرهم الأول بالقيام برحلات صيدٍ منظّمة بصحبة فرسان يتقلّدون السيوف (حماية لكوكبة الصيد) ويتبعهم طائفة من الجند والغلمان، وكان الخليفة يسير محاذياً لشواطئ الأنهار مثل نهر دجلة ارتيادا للخضرة التي تلوذ اليها الطيور وتسرح فيها الغزلان[٤]. واهتم الخليفةُ المهدي بإعداد العُدة للصيد، وقلّده في ذلك ولاته وعمّاله، حتى أنهم أخذوا يصنعون نصال سهامهم من الذهب، كما عَنوا باستخدام الصقر والباز في الصيد، وعنوا بتربية الكلاب السريعة العَدْو، ومن رعايتهم الكبيرة لعُدة الصيد أنهم وكّلوا لكل كلب شخصاً يقوم بتربيته والإشراف عليه ومتابعته[٥]. وكان الرشيد يحب الخيل ويعتني بها وقد وكّلَ بها خبراء بشؤونها[٦]. حتى بلغت نفقات أصحاب الصيد وهم الذين يعنون بطيور الصيد وبالفهود والكلاب، وثمن طعام الجوارح وعلاجها، وأرزاق الأعوان والحمّالين وغيرهم ممّنْ يستخدمهم قصر الخلافة في أيام الخليفة المتوكل (٢٣٢_ ٢٤٧) خمسمائة ألف درهم في السنة، وقد وصل مجموع ما يُنفق على ذلك أيام الخليفة المعتضد (٢٧٩ -٢٨٩ه) هو ألفان وخمسمائة دينار في الشهر[٧]. وكان الخليفة الرشيد حين يخرج الى

(١) الوزراء والكتاب، ص ١٧٣.
(٢) ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ١٠/ ١٩٠.
(٣) ينظر: ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ١٠/ ١٩٠.
(٤) حسن، تاريخ الاسلام، ٢/ ٤٤٦.
(٥) ينظر: حسن/ تاريخ الإسلام، ٢/ ٤٤٦.
(٦) ينظر: ضناوي، سعدي (الدكتور)، موسوعة هارون الرشيد، ط١، دار صادر (بيروت، ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م)، ٢/ ٥٠٥.
(٧) ينظر: الصابي، ابو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨ه/ ١٠٥٦م)، الوزراء او تحفة الامراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة، د. ت)، ص ٣٤ ؛ عبد الباقي، احمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٤١٢ه/ ١٩٩١م)، ص ٩٧.

الصيد يخرج الى((المواطن النائية عن العاصمة والتي يكون السفر اليها يستغرق عِدة أيام))[1]وذلك لكي لا تُحدث مواكب صيده ضجةً وضوضاء ومضايقات بين الناس، أو لكيلا يتمّ الاعتداء على حقوقهم وممتلكاتهم. أما اذا كانت رحلات صيده في أماكنَ قريبة من العاصمة أو من المدن ((في أرض مخصصة مهيّأة لهذه الرياضة، فلا تستغرق الرحلة أكثر من يوم واحد... وفي الأخبار أنه كان للرشيد قرب بغداد على نهر الفرات أو دجلة، قطع من الارض، مساحة الواحدة منها عدة فراسخ.... قد أحاطوا بعض جهاتها بسورٍ في نصف دائرة بُني بالأعمدة المنصوبة، وقد شُدَّ بعضها الى بعض بالأسلاك بشكل سور منيع... وكانت عادتهم في الصيد هنا أنْ يطاردوا الحيوانات التي يريدون صيدها نحو ذلك السور، فيضربون حولها حلقةً من الجهة المفتوحة، ويطاردونها بخيولهم وفهودهم وكلابهم، وهي تفرُّ أمامهم بين الأعشاب والأدغال، فلا يزالون يضايقونها ويحيدونها، حتى تدخلَ وراء السور، ولا يكون لها بعد ذلك مجال للخروج منه، فإذا انحصرت في ذلك الموضع أقبل الخليفة ومَنْ معه من الخاصّةِ – فيحصلوا على طرائدهم –))[2]. وكانت أشباه هذه المواكب يتّبعها الخليفة المعتصم أيضا، وكان ألهج خلفاء بني العباس الأوائل بالصيد والقنص، فتراه يبني بستاناً في أرض الدجيل، قرب مدينة سامراء، ويخصّصه في ممارسة هوايته المفضلة، لكي لا تضايق مواكب صيده من قنّاصةٍ وفرسان وكلاب وخيول بعامّة الناس وحقوقهم، فينقل ابن الطقطقى ذلك فيقول: ((بني في أرض دجيل حائطاً – أي بستاناً – طوله فراسخ كثيرة، وكان إذا ضرب حلقة يضايقونها ولا يزالون يحدّدون الصيد حتى يُدخلوه وراء ذلك الحائط فيصيرُ بين الحائط وبين دجلة، فلا يكون للصيد مجال، فإذا انحصر في ذلك الموضع دخل هو–الخليفة– وولْده وأقاربه وخواصٌ حاشيته وتأنقوا في القتل وتفرجوا فقتلوا ما قتلوا وأطلقوا الباقي))[3].

وكان يصاحبُ رحلة الصيد والطرد الغذاءَ والشرابَ والأطباءَ والمغنون، فممّا يُروى أنَّ الرشيدَ كان يركب للصيد وجعفر بن يحيى معه ((وجعل يشرب تارة ويلهو أخرى.... وعنده بختيشوع الطبيب أبو زكار يغنيه...))[4]. وكان خلفاء بني العباس الأوائل وأعيان المجتمع العباسي يصطحبوا في مواكب ورحلات صيدهم خدمهم ليعينوهم في الإمساك على ما يصطادون وتقديم المساعدةَ اللازمةَ لهم، فهذا مجاهد الدين أيبك الدويدار. يُحدّثنا عن اصطحاب المعتصم لخدمة في رحلات صيده، وكان هو أحدهم فيقول: ((خرجنا مرة في خدمة الخليفة المعتصم، وضربنا حلقةً قريبة من الجلهمة، وهي

(١) الجومرد، هارون الرشيد، ١/ ٢٧٩.

(٢) الجومرد، هارون الرشيد، ١/ ٢٧٩

(٣) ابن الطقطقى، الفخري، ص ٥٣.

(٤) ابن الطقطقى، الفخري، ص ٢١٠ ؛ الجهشياري، الوزراء، ص ٢٣٤.

قرية بين بغداد والحلة، ثم تضايقت الحلقة حتى صار الفارس منا يصيد الحيوان بيده...))[1] وكان الخليفة الواثق (٢٢٧- ٢٣٢ه) يخرج الى الصيد بمنطقة القاطول (قرب سامراء) ليتصيّدَ الأوزَ والدراجَ وطيور الماء وغيرها[2]

وجميع روايات الصيد والطرد ومواكبها وعُددها ونفقاتها وطرقها ومسالكها لتعكس لنا قمة حضارة الدولة العباسية في عصرها الأول وما وصل اليه مجتمعها من تقاليدَ وأعرافٍ في رحلات الصيد والطرد وجميعها تُفصح عن صورةِ الحياةِ الجميلةِ الهانئة التي كان يعيشها مجتمع العصر العباسي الاول وخلفاؤه.

الخاتمة ونتائج البحث

الصيدُ والطردُ صفحةٌ من صفحات الحياة في مجتمع بني العباس وخلفائهم، إذْ اهتم به الخلفاء والوزراء والأُمراء وعموم الناس وعاشوا سوحه الجميلة التي كانت مصدراً للترف والراحة والرزق، عرفه الخلفاء واشتهر في وصفه الشعراء ومنهم (أبي نواس).

وقد توصل البحث الى النتائج الاتية:

١. تمتدُ جذور رحلات الصيد والطرد الى عصرِ ما قبل الإسلام، بل عرفتها المسّلات البابلية وما وصلنا من آثار سومرية وآشورية وأكدية وغيرها تُفصح عن ذلك فضلاً عن ملاحم الشعوب كملحمة كلكامش.

٢. مارس الصيدَ والطرد ملوكُ وأمراءُ ورؤساء العرب وشعرائهم وعلمائهم.

٣. بيّنت الدراسة أنَّ الصيد والطرد من شؤون الرجال، فلم تمارسْه النساء صيانة لها من الابتذال لأنهما يحتاجان الى القوة ورصد الوحش والذي يتطلب الابتعاد عن المسكن أياما زيادة على ما لهذه الرحلات من كلاب تُضّرى وسهام ورماح تُشذَّب وتُبرى وقترات للتخفّي ورصدِ الحيوان وما الى ذلك، لذا حرص العربي على صيانتها منه.

٤. إنَّ مثل هذه الرحلات كانت رحلات استكشافية علمية فضلاً عن انها كانت حلقات نقاش ديني وفكري.

٥. كانت هذه الرحلات رحلات استطلاعية يتعرّف خلفاء بني العباس من خلالها على شؤون الرعية، وقد تخللها مشاهد لكرمهم وعطائهم الى جانب اطلاعهم على الحالة الاقتصادية والسياسية من خلال المحاورات التي كانت تجري بين ارجائها.

٦. عرض البحث لوسائل الصيد وطرقه وذكاء الخلفاء في تخطيط مشاهدها ومسالكها ٠

٧. من خلال التقصّي واستقراء تاريخ رحلة الصيد والطرد وجدْتُ أنَّ مَنْ يروي لها فريقان: الأول مَنْ وَصَفها بدافع الممارسة والمعاناة الواقعية للصياد، والفريق الثاني: بدافع مجاراة الوسط الذي يعيشُ فيه الراوي ومحاباة لخلفائهم وأُمرائهم وقادتهم في إظهار

(١) ابن الطقطقى، الفخري، ص ٥٣.

(٢) ينظر: ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ٥/ ٣٩٤، ٧/ ١٥٨

قابلية مَنْ زواله.

٨. لم تسلمْ مواضع الصيد والطرد من طرفةٍ فضلاً عن أحداث ماساوية خلفت موت الخليفة المهدي أو غيره.

٩. كان من دواعي الصيد تحصيل القوت والدفاع عن النفس اذ كانت الطبيعة وحيواناتها تشكل حربا على الانسان ووجوده كما كانت رياضة ومتعة. وتسلية، فيها تنشيط للبدن والعقل ولذا كلف به العرب المسلمون وخلفائهم، واحتل ذلك منزلة في مجتمعاتهم.

١٠. شُغِفَ بالصيد والطرد العديد من خلفاء وأمراء الدولة العباسية حتى أنَّ البعض منهن شغلهم ذلك عن النظر في أمور الرعية أمثال الخليفة الأمين ووالي خراسان الفضل بن يحيى البرمكي وغيرهم.

١١. إنَّ الصيدَ والطرد كانا ممّا مارسه العرب باستمرار وكلما سنحت لهم الفرصة، مارسه أشرافهم، وأغنياؤهم، وفقراؤهم، كلٌّ يجذبه اليه هدف، وبيّنتُ أنَّ ممارسةَ الصيد تُعدَّ نوعاً من التدريب على القتال، وأبرزتُ مكانةَ الصيّاد في المجتمع العربي، وشرحتُ أنَّ التماس القوت في الصيد بدافع الفقر لا يُعدُّ عيباً، لأن الفقر ليس بعيب طالما واجهه الفقير الى الاحتراف بالصيد للخلاص منه.

١٢. لمّا كان في الصيد اجتماع لآداب الفرسان ورياضة لهم فأنَّ ذلك بدون الخيل لا يستقيم، فهي عنصرٌ مهم من وسائل صيدهم للايقاع بطرائدهم فلاذوا اليها بالأشراك والفخاخ والزُبَّى واللبابيد والقترات وغيرها.

١٣. حفل تاريخ رحلة الصيد والطرد بأصناف الحيوانات التي مارست الصيد مع طرائدها.

١٤. حاول البحث من خلال جمع أخبار رحلة الصيد والطرد، طريفه ومفيدة، أنْ يؤرخَ لهذه اللوحة ويبرزها صفحة تاريخية حضارية ممتعة.

ولعلي قد وُفِقْتُ في دراسةِ (تاريخ رحلة الصيد والطرد عند المجتمع العباسي وخلفائه حتى نهاية العصر العباسي الأول) وإظهار معالمها وأشكالها.

((وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين)).

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

اولا: المصادر الاولية:

التوراة، سفر التكوين، الاصحاح العاشر، الاصحاح الحادي والعشرون، د. مطبعة (بيروت، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

ابن الابرص، عبيد الله.

١. ديوان عبيد بن الابرص، شرح وتحقيق: حسين نصار، ط١، مصطفى البابي الحلبي للطباعة (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) **ابن ابي الاشعث، ابو جعفر احمد بن محمد (ت ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م).**

٢. الحيوان، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق احمد حربي، ط١، مطابع مركز البحوث والدراسات (بغداد، الوقف السني، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

الابشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد (ت ٨٥٠هـ/

١٤٤٦م).
٣. المستطرف في كل فن مستظرف، دار الندى للطباعة (بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
البازيار الفاطمي (د.ت).
٤. البيزرة، تحقيق: محمد كرد علي، طبع المجمع العلمي العربي (دمشق، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).
البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠ م).
٥. صحيح البخاري، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت).
الثعالبي، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).
٦. فقه اللغة، مطبعة الاستقامة (مصر، د.ت).
الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٩ م).
٧. كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).
٨. البيان والتبيين، شرح: حسن السندوبي، ط٣، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧ م).
الجهشياري، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٢م).
٩. كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي، ط١، مصطفى البابي الحلبي للطباعة (القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).
ابن حجة الحموي، تقي الدين ابو بكر بن علي بن محمد (ت ٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م).
١٠. ثمرات الاوراق، صححه وعلق عليه: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، مكتبة الخانجي (القاهرة، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م
الحمودي الحنفي.
١١. النفحات المسكية في صناعة الفروسية، تحقيق: عبد الستار القره غولي، مطبعة فيضي (بغداد، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م
الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م).
١٢. تاريخ بغداد او مدينة السلام، دار الكتاب العربي للنشر (بيروت، د.ت).
ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي التونسي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦ م).
١٣. المقدمة (وهو الجزء الاول من كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر)، تحقيق: حجر عاصي، دار الهلال للطبع (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م).
١٤. كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (تاريخ ابن خلدون)، اعتنى به: عادل بن سعد، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١١م).
ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).
١٥. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: الدكتور احسان عباس، دار الثقافة للطبع (بيروت،

١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١م)

ابن خياط، خليفة بن خياط الليثي العصفري، ابو عمر (ت ٢٤٩هـ/ ٨٥٥ م).

١٦. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: الدكتور اكرم ضياء العمري، ط٢، طباعة دار القلم ومؤسسة الرسالة (دمشق _ بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

الدميري، كمال الدين ابو البقاء محمد بن موسى (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م).

١٧. حياة الحيوان الكبرى (وبهامشه كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات للامام العالم زكريا بن محمد بن محمود القزويني)، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر (بيروت، د. ت).

ابن الدمينة،

١٨. ديوان ابن الدمينة، تحقيق: احمد راتب النفاخ، مطبعة الخانجي (القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م).

الزبيدي، محمد بن مرتضى بن محمد الحسيني (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

ابن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير (ت ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م).

٢٠. جمهرة نسب قريش واخبارها، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

الزينبي، القاسم بن علي (ت ٥٦٣هـ/ ١١٦٨م).

٢١. القوانين السلطانية في الصيد، تحقيق: عارف احمد عبد الغني، ط١، دار سعد الدين ودار كنان للطباعة (القاهرة _ دمشق، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣ م).

الصابي، ابو الحسين هلال بن المحسن (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م).

٢٢. الوزراء او (تحفة الامراء في تاريخ الوزراء)، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار احياء الكتب العربية(القاهرة، د.ت) الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٢٣. تاريخ الامم والملوك (تاريخ الطبري)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط١، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر (بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا (٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٢٤. الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر للطباعة (بيروت، د.ت).

العبادي، عدي بن زيد.

٢٥. ديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق: محمد جبار المعيبد، مطبعة الجمهورية (بغداد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م). الفاكهي،

الشيخ زيد الدين عبدالقادر بن احمد بن علي (د. ت).

٢٦. مباهج السرور في الرمي والسباق والصيد والجهاد (مخطوط)، صورة المجمع العلمي العراقي عن نسخة المكتبة الوطنية بباريس، رقم ٢٨٣٤، الورقة ٦٤.

ابو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين بن محمد القرشي

(ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م).
٢٧. كتاب الاغاني، طبعة دي ساس (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م).
الفرزدق،
٢٨. ديوان الفرزدق، تحقيق: عبدالله الصاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة، ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م).
الفجيجي، أبو اسحاق بن عبد الجبار (د٠ت)٠
٢٩. روضة السلوان، ط١، مطابع الجزائر (الجزائر، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م)
القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م).
٣٠. صبح الاعشى، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م).
ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب بن بشر (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠ م).
٣١. انساب الخيل، تحقيق: احمد زكي باشا، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م)
كشاجم، محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك (ت ٣٦٠هـ/ ٩٧١م).
٣٢. المصايد والمطارد، تحقيق: الدكتور محمد اسعد اطلس، دار الحرية للطباعة (بغداد، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).
مجهول.
٣٣. الصيد والطرد عند العرب، تحقيق: ممدوح حقي، دار الحزم للطباعة (دمشق، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م)
المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م).
٣٤. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، دار الانوار للطباعة (بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)
المنكلي، محمد (د. ت)
٣٥. أُنس الملا بوحش الفلا (مطابع باريس، ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠ م).
ابن منظور، جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م).
٣٦. لسان العرب، تحقيق: عامر احمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ٠
ابو نواس، الحسن هانئ الحكمي البصري (ت ١٩٨هـ/ ٨١٤ م).
٣٧. ديوان ابي نواس، تحقيق: احمد عبد المجيد الغزالي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م).
اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب واضح البغدادي (ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م) ٠
٣٨. تاريخ اليعقوبي، دار صادر للطباعة (بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).
٣٩. البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية (بيروت، د٠ت)٠

ثانيا: المراجع الحديثة:

الاطرقجي، رمزية محمد (الدكتورة).

١. الحياة الاجتماعية في مدينة بغداد منذ نشاتها حتى نهاية العصر العباسي الاول، ط١، مطبعة الجامعة (بغداد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

الالوسي، محمود شكري.

٢. بلوغ الارب في معرفة احوال العرب، ط٢، المطبعة الرحمانية (القاهرة، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م).

امين، احمد (الدكتور).

٣. الصعلكة والفتوة في الاسلام، مطبعة الخانجي (القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

باقر، طه (الدكتور) ٠

٤. ملحمة كلكامش، ط١، د. مطبعة (بغداد، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

البكري، محمد توفيق.

٥. اراجيز العرب، ط٢، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨ م) ٠

الجبوري، سلمان ابراهيم.

٦. كشاف التقويميين في التواريخ الهجرية والميلادية، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م).

الجومرد، عبد الجبار (الدكتور).

٧. هارون الرشيد (دراسة تاريخية اجتماعية سياسية)، ط٢، المكتبة العمومية (بيروت، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

حتي، فيليب.

٨. تاريخ العرب، ط٣، دار الكشاف (القاهرة، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

حسن، حسن ابراهيم (الدكتور) ٠

٩. تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط٧، مكتبة النهضة المصرية (١٣٨٤/ ١٩٦٤م).

الحوفي، احمد (الدكتور).

١٠. اغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط١، د. مطبعة (القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).

ديوارنت، ول وايرل.

١١. قصة الحضارة، ترجمة، الدكتور زكي نجيب، (مطبعة ليدن، د. ت) ٠

الزركلي، خير الدين (ت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

١٢. الاعلام، ط٥، دار العلم للملايين (بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

سعيد، جميل (الدكتور).

١٣. الوصف في شعر العراق في القرنينين الثالث والرابع الهجريين د. مطبعة (بغداد، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

ضناوي، سعدي (الدكتور).

١٤. موسوعة هرون الرشيد أ ط١، دار صادر (بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

ضيف أشوقي (الدكتور).

١٥. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٦، دار المعارف (القاهرة، د. ت).

١٦. تاريخ الادب العربي (العصر العباسي الاول)، ط١، دار المعارف (القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

عبد الباقي، احمد.

١٧. معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)

العكيدي، علي (الدكتور).

١٨. نساء الانبياء، ط١، مطبعة دراسات (بغداد، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م).

فهد، بدري.

١٩. العامة ببغداد في القرن الخامس الهجري، د. مطبعة (بغداد، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

فيليب، سنت جو.

٢٠. ارض الانبياء (مدائن صالح)، ترجمة: عمر الديراوي، ط٢، دار صادر (بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

مال الله، علي محسن عيسى.

٢١. ادب الرحلات عند العرب في المشرق، مطبعة الرشاد (بغداد، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

متز، ادم.

٢٢. الحضارة الاسلامية في القرن الربع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، ط١، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر (القاهرة، د. ت) ٠

المدور، جميل نخلة.

٢٣. حضارة الاسلام في دار السلام، مطبعة المدني (القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

النجم، وديعة طه (الدكتورة).

٢٤. منقولات الجاحظ عن ارسطو في كتاب الحيوان، ط١، معهد المخطوطات العربية (الكويت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

هيكل، احمد.

٢٥. الادب الاندلسي، ط٣، دار المعارف (القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

ثالثا: المجلات

جواد، مصطفى (الدكتور).

١. بحث بعنوان (طيور الفتوة واثرها في الادب)، مجلة العربي (الكويت، العدد ١٤، ١٣٨٨هـ/ مايس ١٩٦٨م).

طلس، محمد اسعد.

٢. بحث بعنوان (الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع الهجريين) مطابع مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

رابعا: رسائل جامعية

مصطفى، احمد امين.

الوصف في الشعر العباسي حتى دخول السلاجقة (بغداد، رسالة ماجستير على الالة الكاتبة باشراف الدكتور احمد الحوفي ونوقشت في يوم ١٦/ ٢/ ١٩٦٩م - ١٣٨٩ه).